مهدي كَلشني



من العلم العلماني الى العلم الديني

دار الهادي

قضايا اسلامية معاصرة

من العلم العلماني

الى العلم الديني

تأليف: مهدي گلشني

ترجمة: سرمد الطائي

مراجعة: صادق العبادي

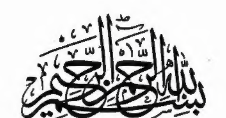
مركز دراسات فلسفة الدين وعلم الكلام الجديد

بالتعاون مع دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع





من العلم العلماني
الى العلم الديني



مقدمة

تشهد الأوساط الثقافية اخيراً في ايران جدلاً حول بعض المسائل المهمة نظير:

١ـ الطابع العلماني لمؤسساتنا العلمية.

٢ـ طبيعة العلاقة بين العلم والدين.

٣ـ أسلمة المعرفة وأسلمة الجامعات العلمية.

لقد ادى التقدم العلمي الذي احرزه الغرب في القرنين الماضيين الى هيمنته بشكل مباشر او غير مباشر على المجتمعات الاسلامية، التي راحت تنقل علومه المتطورة الى برامجها ومؤسساتها التعليمية مع ما يقارنها من اساس فلسفي لتلك العلوم ايضاً.

ونلاحظ ان الباحثين و الطلبة في العالم الاسلامي يتوافرون على دراسة العلوم والتقنيات الحديثة بينما لا يحصلون الا على شتات من المعارف الدينية، ويعتقد معظم هؤلاء الدارسين ان هذين اللونين من المعارف يستقلان عن بعضهما تماماً ولا يمارس أي منهما ادنى تأثير على الآخر.

على صعيد ثان ثمة وجهة نظر تؤكد بأن العلم لا يمتلك هوية محددة، شرقية او غربية... اسلامية او غير اسلامية، على اساس ان للعلم منهجه الخاص المتمثل بالتجربة والبحث والقيام بالمقارنات بين نتائج التجربة ومعطيات النظرية. ولا نرى هذا الاتجاه بين المعارضين للدين فقط، بل نلمحه لدى بعض المتدينين

ايضاً، ولذا فإن الشريحتين تعتقدان بأن موضوع أسلمة المعارف والجامعات العلمية هو حديث لاطائل منه.

في تصورنا ان منشأ هذه الرؤية حول العلاقة بين العلم والدين والعلم الديني (الاسلامي)، هو ما يتعرض له مفهوم الدين من تحجيم وتقليص، الى جانب إغفال واقع محدودية العلم، فضلاً عما يضفى من طابع قطعي على كل ما يطرح باسم العلم.

يعتبر اولئك الذين لا يمتلكون خبرة واطلاعاً كافيين على شؤون العلم، ان كل ما ورد في الكتب العلمية او جاء على لسان العلماء، يمثل نتائج علمية تتمتع بطابع قطعي، وبالتالي فإنه يفوتهم ما تتركه الآيديولوجيا والاتجاهات الفلسفية من آثار في نظريات العلم ومعطيات التجربة.

ولم يكن ثمة بأس في وجهة النظر تلك، لو كان العلم يمثل تفسيراً محضاً للقضايا التي تخضع للتجربة، وليس هنالك مبرر حينئذ للتفاوت بين العطاء العلمي: شرقيه وغربيه، لكن الحقيقة هي ان جهود كبار العلماء تستهدف تقديم تفسيرات لعالم الطبيعة، وتعميم المعطيات العلمية لتكوين نظريات شمولية حول العالم، تلك النظريات التي تتحرك في اطار اوسع بكثير من النطاق المتاح للمنهج التجريبي. وفي ضوء هذا فإن من المنطقي ان تتدخل العصبيات والتحيزات والاتجاهات الفلسفية والدينية في صياغة الطرح العلمي.

ان كلا من الجهد العلمي الإلهي والعلماني يمتلك فرص نجاح جيدة، غير أن المائز بينهما يتجلى في امرين:

أ ـ في نطاق صياغة النظريات ذات الطابع الشمولي العام (حيث يتم توظيف فروض ميتافيزيقية متنوعة في ذلك).

ب ـ فيما يرتبط بالمسارات التي تتحرك في اطارها التوظيفات العلمية (تستطيع الآيديولوجيات والرؤى الفلسفية المختلفة ان تحدد تلك التوظيفات او

تدفعها نحو مسارات معينة).

ونعتقد على هذا الاساس ان العلم الديني ينطوي على مضامين ومعطيات اكثر غنى وثراءً مما يقدمه العلم في سياقه العلماني، حيث انه لا يؤمّن احتياجات الانسان المادية والمعنوية فحسب، وانما يقدم له عن الكون مفهوما غنيا كذلك.

ولا بد من التاكيد على اننا لا نريد بالعلم الديني الذي نتحدث عنه ـ او العلم الاسلامي بشكل خاص ـ ان تنسخ طريقة البحث العلمي المعاصر او ان يتخذ الكتاب والسنة كمرجعية مباشرة لأبحاث الفيزياء والكيمياء، او ان يتم التركيز على المعجزات العلمية في القرآن الكريم.

كما لاندعو للعودة الى استخدام ادوات البحث العلمي التي راجت قبل الف عام ونقصي بعيداً انجازات العلم المذهلة في المستويين النظري والعملي خلال القرون القليلة الماضية (وهو ليس بالأمر المستطاع ولا المطلوب)، وانما ندعو الى تحكيم الرؤية الالهية في اجواء البحث العلمي، أي ان يتحرك العلم عن موقف يذعن بوجود الله سبحانه كخالق للكون وحافظ له، وفي اطار رؤية لا تختزل عالم الوجود في المادة، وترفض ما يجرد الكون عن هدفيته وتؤمن بوجود نظام اخلاقي، وذلك لتجنب تبعات العلم السلبية وتعزيز معطياته. حيث نلاحظ ان المعرفة باتجاهها العلماني تعرض عن الله سبحانه وهي تهتم بالمادة فقط، كما ان هدفية الكون غير مطروحة فيها ابداً، وهي لا تنطوي على نظام قيمي.

وفيما يرتبط بالعلاقة بين العلم والدين نعتقد ان العلم يقع في مرتبة تالية للدين وهو لا يوازيه اساساً أي ان العلم يقع بعد الدين في المستوى الطولي وليس الى جانبه في مستوى عرضي. كما ان النشاط العلمي يمثل ممارسة دينية تتم بآليات خاصة، ونلاحظ ان اعتبار البحث العلمي مقولة دينية وعبادية، له جذور عريقة في العالمين الاسلامي والمسيحي.

سنتعرض في هذا الكتاب الى هذه الموضوعات، وقد خصصنا الفصلين لاول والثاني لبحث الأزمة الراهنة في هذا المجال ومعالجة التحولات التي سهدتها العقود الاخيرة. حيث اوضحنا في الفصل الاول عوامل تحول لمؤسسات العلمية في الغرب والعالم الاسلامي الى مؤسسات علمانية، وقمنا في لفصل الثاني باستعراض آراء مختلفة حول العلاقة بين العلم والدين في العالم لمعاصر.

وفي الفصلين التاليين سعينا الى تحديد الحالة النموذجية التي يطمح اليها لاسلام ضمن وجهة نظره ازاء هذه الاشكاليات، فتولى الفصل الثالث تحديد موقع العلوم الطبيعية في النظام المعرفي الاسلامي، وتكفل الفصل الرابع بيان عوامل ظهور الحضارة الاسلامية وازدهارها في قرون الهجرة الاولى كنموذج لتجلي رؤية الاسلام للعلم.

كما خصصت الفصلين الخامس والسادس لاقتراح برامج قصيرة وطويلة الأمد لتحقيق النموذج العلمي المطلوب اسلامياً، حيث طرحنا مشروع الوحدة بين الحوزة العلمية (المدارس الشرعية) والجامعات الحديثة كآلية وسطى، بينما مثل مشروع الجامعات الاسلامية خطة عمل طويلة الأمد في هذا السياق.

تجدر الاشارة الى ان استعراض مرحلة ازدهار الحضارة الاسلامية لاينطوي على دعوى ان ذلك العصر شهد في كل حقبة وضمن سائر مناطقه الجغرافية، توفر كافة الظروف التي يتطلبها النشاط العلمي، وانما اردنا بذلك ان نشير الى امتلاك الثقافة الاسلامية للمقومات التي تؤهلها للتنمية العلمية، وحيثما اجتمعت تلك الخصائص والمقومات فإنها قد تمخضت عن نتائج متميزة (كما حصل في بعض الحواضر الاسلامية).

وعلى هذا الاساس يمكن تدشين نموذج حضاري عصري ومتقدم عبر توظيف تلك الخصائص الثقافية والاستفادة من امكانيات وظروف العصر الحالي.

ان رسالة هذا الكتاب تتولى بيان ان العلوم الطبيعية في العالم الاسلامي والغرب على حد سواء، اتخذت في البدء طابعاً دينياً، ثم اكتسبت في القرنين الاخيرين خصوصيتها العلمانية، ويعتقد كاتب السطور في ضوء محدودية الرؤية العلمانية ومعطياتها المرفوضة في الاطار العملي، انه ينبغي للعلم ان يستعيد طابعه وخصوصيته الدينية، من اجل التمهيد لتبلور مختلف الأبعاد الوجودية للانسان.

ولا يسعني في هذه المقدمة الا ان اشكر زوجتي الفاضلة السيدة بتول نجفي وولدي العزيز علي كلشني على ما قدموا لي من ملاحظات نقدية أدّت الى تطوير الكتاب، وكذلك المهندس حسن فقيه عبد اللهي مدير النشر في (معهد الدراسات الانسانية و الثقافية) لما قام به من مجهود في مراجعة الكتاب و طباعته.

د. مهدي كلشني

١٩٩٨



الفصل الاول

من العلم الديني الى العلم العلماني



العلم والآيديولوجيا

يتضمن سعي العلماء الى اكتشاف الكون والسيطرة عليه، محاولتهم تحديد ما يشتمل عليه العالم ومعرفة الغاية من وجود الاشياء، ويحاولون في سياق حرصهم على منح انجازاتهم قيمتها، بلورة مفهوم للعالم يمكنهم ان يجدوا ضمنه مكانا لتصوراتهم وعقائدهم.

تعبر الرؤية الكونية (World View) عن الانطباعات التي يحملها الشخص او المدرسة الفكرية حول العالم والكون، والتي تتولى تقديم تفسير للظواهر الكونية، وبعبارة أخرى هو تفسير الانسان للكون ويمكن ان تستند مجموعة الرؤى تلك الى العلم او الفلسفة او الدين.

كانت عقائد الدين والمعارف العلمية في القرون الوسطى تتحد معاً في اطار ميتافيزيقي شامل، سواء في الغرب او العالم الاسلامي، وقد زالت هذه الوحدة مع ظهور العلم الحديث، وراح العلماء يدينون بآيديولوجيات مختلفة، مما سنتعرض له فيما يلي.

الرؤية العلمية

تسعى هذه الرؤية الى تكوين مفهوم للعالم يستند بشكل كامل الى المعطيات العلمية. ويعرفنا العلم بمفهومه التجربي او في دائرة العلوم الانسانية

التي تستند الى العلوم التجريبية، على بعض جوانب الكون، وهو يتحرك في ذلك طبقاً للتجربة والفرضية كما انه يتميز بالدقة والتحديد والغوص في الجزئيات غير انه في الوقت ذاته ذو دائرة محدودة وضيقة حيث يمكنه وحسب ان يصل الى النقاط التي تطالها التجربة فقط. وتتغير ملامح الكون والعالم في اطار التصور العلمي يوماً بعد آخر لأن الفرضية والسياق الاختباري الذي يتحرك العلم في اطاره لايتمتعان بقيمة دائمة.

الرؤية الفلسفية

ترتكز هذه الرؤية على بعض اسس الميتافيزيقيا، وتمتلك نطاقاً اوسع من نطاق الرؤية العلمية، وهي في الحقيقة تؤمن للرؤية العلمية اطاراً ضرورياً.

لقد كان الماركسيون يقيمون سائر المعطيات العلمية عبر مقارنتها بالاطار الماركسي ويعمدون الى رفضها فيما لو بدت غير منسجمة معه. فانجلز مثلاً كان يسخر من افكار كلوزيوس مؤسس قانون الأنتروبيا[1]، وفي العصر الحالي خالف اتباع الماركسية بعض التفسيرات السائدة لجملة من نظريات العلم، كالتفسير التقليدي لنظرية الكم (quantum theory) الذي كان يواجه معارضة شديدة في الاتحاد السوفيتي.

الرؤية الدينية

تستمد هذه الرؤية مضامينها من الاصول الاساسية للدين، ويمثل التوحيد في الاسلام اساس تلك الرؤية، ويعبر عن الاعتقاد بأن خلق العالم قد تم بمشيئة حكيمة، وان النظام الوجودي قائم على اساس الخير والرحمة واللطف

(1) S. Jaki, The Relevance of Physics (Edinburg: Scottish Academic Press, 1992) P.484.

بالموجودات كي تبلغ ما يليق بها من كمالات. وتقرر هذه الرؤية ان للإنسان رسالة خاصة يحملها في حياته وترفض أي طابع عبثي لحركة الكون.

وقد بين التوحيد في الاسلام بأجلى صورة: ﴿ليس كمثله شيء﴾ الشورى ١١، (الله الصمد) الاخلص ﴿أيها الناس انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد﴾ فاطر ١٥، فالاسلام وقبل كل شيء هو دين التوحيد، في المستويين النظري والعملي، وهو يرفض أي مساس بهذا الأصل. وفي الدين الاسلامي تفتتح كل الاعمال باسم الله وتجري بالتوكل عليه، وتهيمن عقيدة التوحيد على المسلم الحقيقي حيث انه لا يتقبل أي شريك لله.

لابد ان تمتلك الجهود العلمية هدفاً الهياً، وهو يتمثل في الاسلام وعلى المستوى النظري، باكتشاف آيات الله في الآفاق والانفس، وعلى المستوى العملي، بالاستفادة من الامكانيات والنعم التي منّ الله بها على الانسان للاستجابة الى الحاجات المشروعة فردياً واجتماعياً، كما يستهدف العلم تحقيق العلو والرفعة للأمة الاسلامية. ان دراسة الطبيعة والمجتمع والانسان في اطار الرؤية الكونية الاسلامية يعبر عنه بالعلم الديني (الاسلامي) والمعرفة الدينية، اما اذا تمت تلك الجهود بمعزل عن ذلك النطاق فإنها تعتبر لونا علمانيا من المعرفة.

تقلص دائرة العلم الديني

كانت الرؤية الاسلامية خلال القرنين الماضيين هو السائدة في مؤسساتنا العلمية، غير ان الحقبة التالية شهدت هيمنة النمط العلماني من العلوم المعرفية، مما يدعو للتساؤل حول سبب تنازل المعرفة الدينية عن موقعها لصالح المعرفة العلمانية في العالم الاسلامي. وثمة تساؤل آخر يستهدف تحديد سبب تخلف العالم الاسلامي الذي حمل لواء العلم في العالم ذات يوم، ازاء العلوم الغربية في القرون الاخيرة، وهو لم يتمكن حتى الآن من تقليص المسافة التي تفصله عن التطور الغربي بل انه يزداد حاجة الى الغرب يوماً بعد آخر. ورغم ما يبدو من

عدم ارتباط بين هذين السؤالين الا أنهما في الحقيقة مترابطان بشكل كامل.

يعتقد البعض ان سبب التخلف الذي ابتليت به الامة الاسلامية يكمن في اتباعها للدين وهيمنة الدين عليها، وان علاج ذلك يكون باعتماد النماذج الغربية للتقدم بشكل تام، وراح آخرون (فيهم ممن يعتقد بضرورة الدين) يعتقدون ان علاج ذلك التخلف هو الالتحاق بركب العلم المعاصر (في اتجاهه العلماني)، وتتجلى هنا بالتحديد طبيعة العلاقة بين السؤالين آنفي الذكر.

يمتلك العلم المعاصر، كما سيتضح في الفصول القادمة، هوية غير مجردة عن الأنساق القيمية وفرضيات الميتافيزيقيا، ولذلك فإن اخذه دون الالتفات الى ما ينطوي عليه من حمولات قيمية وفلسفية لن يتمخض في افضل التقادير الا عن نموذج مناظر لما تحقق في الغرب، وهو نموذج يحقق فيه المجتمع نجاحاً كبيراً في المستوى العملي، ولكنه يواجه مشاكل متزايدة في الجوانب الاخلاقية والنفسية والاجتماعية نظير ما يشهده الغرب اليوم من ازمات.

ولكننا نعتقد، اولاً: ان مسار العلم في الحواضر الاسلامية كان يشهد ضعفاً شديداً بعد فترة الازدهار الاولى، ولم يعد يتمتع حينئذ بما يفترض فيه من شمولية (فغابت ضمنه مثلاً البحوث الطبيعية مع ان ذلك مما اكد عليه القرآن والسنة).

وثانياً: حيث ان العلوم الغربية التي نقلت الى العالم الاسلامي كانت قد مرت بمنعطف العلمنة، فإن العلمانية ظهرت في العالم الاسلامي عبر ذلك الاستيراد الناقص والمشوه لعلوم الغرب، وفي ضوء تعارض طبيعة الوافد الجديد مع العقائد الدينية السائدة واجهت النخبة العلمية المسلمة ازمة الازدواج في الهوية.

ثالثا: لو كان الفكر التوحيدي قد امتلك هيمنة حقيقية في العالم الاسلامي، لما أذن المسلمون لأنفسهم بالتقصير والتواني عن البحث والعطاء العلمي كعامل في قوة الامة ورفعتها. أفلم يؤكد القرآن الكريم ان الامة ستتفوق فيما لو

تمسكت حقاً بعقيدة التوحيد؟ ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون ان كنتم مؤمنين﴾ آل عمران ١٣٩، ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ المنافقون ٨، ﴿ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً﴾ النساء ١٤١. أفلم يرد في حديث الرسول(ص) (ان الاسلام يعلو ولا يعلى عليه)[١]؟

لقد استفاد الفقهاء من هذه النصوص قاعدة نفي السبيل التشريعي، والتي تقرر ان الله سبحانه لم يشرع حكماً يتيح لغير المسلم ان يتسلط على المسلم. الا ان البعض حاول ان يحدد دلالة هذه النصوص ـ خاصة آية ﴿ولن يجعل الله للكافرين...﴾ ـ في مستواها التكويني ايضاً، وقرر ان من جملة ما تشير اليه هو عجز الكفار عن التسلط على المسلمين الحقيقيين (بمعنى من تحقق فيهم التسليم الكامل للباري تعالى). ولنا ان نتساءل في ضوء ذلك حول السبب في تخلف المسلمين عن الغرب واتباعهم له في مجالات الفكر والمعرفة.

تساءل مشارك، في احد المؤتمرات الدولية المنعقد في الباكستان عام ١٩٨٣: لماذا طالنا التخلف اذا كان في الاسلام كل هذه الرؤى الرفيعة حول العلم واهميته؟ وقد اجاب كاتب السطور: ان السبب في ذلك يكمن في اننا لم نتمسك بتعاليمنا الدينية بشكل حقيقي، بينما أخذ الآخرون بالكثير من تعاليم الاسلام، وقد دعانا القرآن الكريم الى استيعاب شؤون الخلقة عبر النظر والتأمل في عالم الطبيعة.

يشكل الابتعاد عن رؤية الاسلام العامة احد العوامل المهمة التي ساهمت في تكريس مظاهر التخلف في عالمنا الاسلامي، وقد عزز من ذلك حالة الدهشة والذهول المنطوي على الخوف ازاء التطور الغربي. واذا كان الحل يكمن في اتباع خطى العلمانية فلماذا لم تتغير نحو الافضل تلك البلدان التي قطعت شوطاً

---

(١) الشيخ الصدوق. من لا يحضره الفقيه، ج ٤. طهران ١٣٩٢ هـ ص ٤٣٤.

متميزاً في مسيرة العلمنة؟ ترى هل تقدمت تركيا العلمانية وتفوقت على مصر مثلاً؟.

لطالما لاحظنا في مؤلفات الاوربيين والامريكان انهم يتساءلون حول السبب في ازدهار العلم الحديث في اوربا وتخلفه في الصين او الهند خلال ذات الفترة الزمنية. لقد كانت الصين متقدمة على اوربا علمياً وصناعياً، وتميزت الهند بإرث حضاري غني، فلماذا لم يزدهر العلم في هذين البلدين كما حصل في اوربا؟.

يقول الخبراء الغربيون ان لذلك علاقة بلون الرؤية والآيديولوجيا التي سادت الصين والهند واوربا.[1] فلم يكن في وسع العلم الحديث ان يظهر في احضان الثقافة الصينية، لأن التاوية[2] تعتقد ان العلل الحقيقية لظواهر الطبيعة هي امور روحانية خفية، كما ان تعاليم كونفوشيوس[3] التي راجت هناك تؤكد على الاخلاق والسلوك الاجتماعي بينما تهمل قضايا الوجود والطبيعة.

ولم يتمكن العلم من تحقيق تقدم في اطار الثقافة الهندية التي كانت تعتبر المنهج التجربي وهمياً ولا يتمتع بالواقعية، فيما كان الانسان الغربي النصراني يعتقد ان العالم ظاهرة ايجابية لأنه خلق من قبل الله العادل، كما انه قابل للتعقل والاكتشاف لأن خالقه حكيم ومدبر، ويمكن للانسان ان يستوعب الظواهر الكونية لأن الله امر البشر بإعمار الارض واستيفاء خيراتها، وهو سبحانه لايشرع

---

(1) M. Peterson, W. Haskar, B. Richenbach and D. Basinger, Reason and Rıligious Belife, (Oxford: OUP, 1991), P. 213.

(٢) الطاوية أو التاوية (Taoısm) فلسفة دينية مبنية على تعاليم لاوتسي وتعتبر من لأديان الصينية الكبري كالبوذية والكونفوشيوسية والـ(Tao) هو المبدأ الأول الذي ينبثق منه كل وجود و تغيير في هذا الكون و هو سبيل المضيلة.

(٣) الفيلسوف الصيني.

اوامر تعجيزية. جاء في سفر التكوين من التوراة: (اريدكم ان تحوزوا اسماك البحر، وطيور السماء وسائر الموجودات الحية على الارض) ١/ ٢٨.

يعتقد هوايتهد أن علوم الالهيات في القرون الوسطى هو الذي حفز الوعي الغربي على الثقة بإمكانية اكتشاف الطبيعة اذ (يعبر الإيمان بنظام الطبيعة الذي ساعد على تطور العلم، عن مثال خاص لنموذج ايماني اكثر عمقا)[1].

ولنا ان نتساءل هنا: ألم يكن علماء الطراز الاول في العالم الاسلامي كالبيروني (ت ٤٤٠ هـ) ونصيرالدين الطوسي، يحملون مثل هذا الاعتقاد؟ لقد ترك البيروني مؤلفات علمية في الفلك والجغرافيا والمعادن...الخ، وذكر انه يستهدف في اعماله تلك اكتشاف اسرار الآيات الالهية في عالم الطبيعة مستنداً في ذلك الى قوله تعالى **﴿يتفكرون في خلق السموات والارض * ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾**. كما ان نصيرالدين الطوسي (ت ٤٤٠ هـ) اسس مركزاً للعلوم الاسلامية في مراغة (بآذربايجان) وجمع فيه الفلاسفة والفقهاء والاطباء والرياضيين والفلكيين وأسس مرصد مراغة الشهير، وتولى شخصياً بحث العديد من مسائل الرياضيات الدقيقة في ذلك العصر، وهو الذي كان خبيراً في الإلهيات وتهيمن عليه رؤية الاسلام للكون والوجود. لقد اجتمع في مثل هؤلاء كل من العلم والدين وكانوا يعتقدون بأن الدين والعلم ينشأان عن مبدأ واحد ويتحركان نحو غاية مشتركة: **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾** الحديد٣.

وفي الواقع فإن عصر سيادة ثقافة الاسلام بشمولها واصالتها، شهد تزايد المساجد والمراكز التعليمية التي تدرس انواع العلوم سواء منها الدينية او العقلية

---

(1) Alfred North Whitehead, Science & the Modern World , (New York. The Free Press, 1967), P. 18.

بمعناها الشامل للحكمة والفسلفة والرياضيات والعلوم الطبيعية، وكان محور هذه المعارف هو الخالق عز وجل، وقد استهدفت الفلسفة الرياضيات والطبيعيات فهم واكتشاف عالم الكون وطلب القرب من خالق العالم جل وعلا.

بدأت عملية تعريب النصوص العلمية اواسط القرن الثاني للهجرة ومنذ ذلك الحين وحتى اواخر القرن الرابع حيث سادت نزعة تسعى الى تكوين اطار شامل يجمع بين العلوم. كانت العلوم الاسلامية في حركة فاعلة ومتنامية كما سيأتي بيانه في الفصل الرابع. ومن جملة العوامل التي ساعدت على ذلك في تلك الفترة، هو تنامي نفوذ مذهب الاعتزال ومتكلمي المعتزلة الذين كانوا اهل نظر وجدل ساهمت جهودهم في ترويج العلوم العقلية.(١)

اما فترة الانحطاط التي تلتها فقد ذكرت لها عوامل متعددة:

- شيوع عقيدة الجبر وآراء الزنادقة.
- الهجوم المغولي والحملات الصليبية (انتصر المسلمون في الحروب الصليبية ولكن مظاهر الضعف كانت مستشرية بينهم حيث سرعان ما خسروا الجولة امام اجتياح المغول).
- الاعتقاد بتعارض العلوم النقلية والعقلية.
- تجاهل اهمية العلوم العملية.
- هجوم التتر بقيادة تيمورلنك.

مع ان كل هذه العوامل تركت اثراً مهماً في هذا المجال، غير أن العامل الاساسي لتراجع المستوى العلمي بين المسلمين هو تنامي الاتجاهات المناوئة للاتجاه العقلي. ففي عهد المتوكل العباسي الذي كان يميل بشدة الى اهل

---

(١) صفا، ذبيح الله. تاريخ علوم عقلي در تمدن اسلامي (تاريخ المعقول في الحضارة الاسلامية) طهران، جامعة طهران ١٩٥١، ص١٣١-١٤٩.

الحديث، بدأت حملة مضادة لأهل النظر العقلي، فخالف المتوكل طبقاً لما ينقل المسعودي ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق وقام بمنع ممارسة الجدل والمناظرة وأخذ يضيق على المعتزلة.(١) وقد عزز ذلك تزايد نفوذ الاتراك في اجهزة الدولة مما بدأت بوادره تظهر في عهد المعتصم، ووفر فرصة لبروز الأشعري وتكوّن فرقة الاشاعرة بشكل متكامل.(٢)

وفي ايران فإن العامل الاساسي لتدهور العلوم العقلية، تمثل باجتياح الاتراك لشرقي البلاد وتسلط الملوك الغزنويين والسلاجقة. وعلى حد قول ابن الأثير في الكامل، فقد احرق محمود الغزنوي كتب الكلام والفلسفة والفلك في مدينة الري،(٣) ولم تأخذ نظام الملك [٣٨٩ ـ ٤٨٥ هـ] رأفة في اتباع المذاهب الاسلامية حين كان يروج للمذهب الشافعي، كما ان المواد الدراسية التي قررت في المدارس النظامية كانت تقتصر على الفروع الدينية والأدبية وقد غابت عنها المعارف العقلية (الفلسفية، الرياضية).

ومع غلبة نفوذ الاشاعرة الذين عارضوا العلوم العقلية، منع تدريس هذه العلوم وراجت سوق الاتهام بالكفر والضلال، وقد ساعد على ذلك رواج التصوف في القرنين السادس والسابع للهجرة حيث ان المتصوفة قالوا ان الفلسفة ومناهج الاستدلال العقلي غير كافية لادراك الحقائق بل اعتبروها عائقا وحجابا يحول دون ذلك. وبظهور الغزالي الذي كان اشعريا وعارفا متصوفا في الوقت ذاته، اشتد الهجوم على العلوم العقلية وتزايدت حملات التكفير والاتهام بالضلال للمشتغلين بهذه العلوم، لذا فقد ضعف المسار الابداعي وراحت معظم

---

(١) م. ن. ص١٣٤.

(٢) م. ن. ص ١٣٥ ـ ١٣٤.

(٣) ابن الاثير،الكامل في التاريخ، ج٩ بيروت ـ دار صادر ودار بيروت ١٩٦٦ ص٣٧٢.

جهود العلماء تتجه الى الشرح والتعليق على مصنفات المتقدمين، وتركت الضربات التي وجهها الغزالي الى العلوم العقلية والفلسفة آثارا عميقة يصعب التغلب عليها وادت الى تقليص الحالة العلمية بين المسلمين.

واعتمدت المناهج الدراسية في مراكز التعليم فيما بعد بشكل اساسي علوم اللغة والدين، وتراجعت دروس العلوم العقلية الى الظل لتتخذ طابعا سريا. اما الطب والرياضيات فلم تكن تولى اهتماماً كافياً وحوربت دروس الفلسفة والفلك بشدة، واقتصرت المناهج في المدارس النظامية على العلوم الدينية فقط واختزلت هذه ايضا في الفقه الشافعي ومذهب الاشاعرة في الكلام.

لقد كان رأي الغزالي في الطبيعيات انها علم اختلط فيه الحق بالباطل وهو يقول: (وامّا الطبيعيات: فالحق فيها مشوب بالباطل والصواب فيها مشتبه بالخطأ، فلايمكن عليها بغالب و مغلوب)[1]. وفيما يرتبط بالرياضيات يعتقد الغزالي بلزوم اقصائها باعتبارها مقدمة لبعض العلوم الباطلة، ويقول في كتاب فاتحة العلوم: كذلك فإن النظر في علم اقليدس والمجسطي ودقائق الحساب والهندسة، ورغم انه يشحذ الذهن ويقوي النفس فإننا نمنع تعاطيه لما يتضمنه من تبعات محاذير. فإنها من مقدمات علوم الاوائل التي تنطوي على مذاهب فاسدة، ومع ان علوم الهندسة والحساب لاتتضمن مذاهب فاسدة تتعلق بمسائل الدين ولكني اخشى ان تؤدي في نهاية الأمر الى ذلك.[2]

يقول في (المنقذ من الضلال): (اما الرياضية فتتعلق بعلم الحساب والهندسة وعلم هيئة العالم، وليس يتعلق شيء منها بالامور الدينية نفيا او اثباتا، بل هي امور

---

(١) الغزالي، ابوحامد. مقاصد الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا القاهرة، دار المعارف ١٩٦١، ص ٣٢.

(٢) صفا، مصدر سابق، نقلا عن فاتحة العلوم (طبعة مصر ١٣٢٢ هـ) ص١٤٩ النقل بالمضمون.

برهانية لاسبيل الى مجاحدتها بعد فهمها ومعرفتها، وقد تولدت منها آفتان. الأولى، من ينظر فيها يتعجب من دقائقها، ومن ظهور براهينها، فيحسن بسبب ذلك اعتقاده في الفلاسفة، فيحسب ان جميع علومهم في الوضوح ووثاقة البرهان كهذا العلم. ثم يكون قد سمع من كفرهم وتعطيلهم وتهاونهم بالشرع ماتداولته الألسنة، فيكفر بالتقليد المحض ويقول: لو كان الدين حقا لما اختفى على هؤلاء مع تدقيقهم في العلم... فهذه آفة عظيمة لأجلها يجب زجر كل من يخوض في تلك العلوم فإنها وان لم تتعلق بأمر الدين... فقل من يخوض فيها الا وينخلع من الدين، وينحل عن رأسه لجام التقوى. والآفة الثانية نشأت من صديق للاسلام جاهل، ظن ان الدين ينبغي ان ينصر بإنكار كل علم منسوب اليهم، فأنكر جميع علومهم ... حتى انكر قولهم في الكسوف والخسوف، وزعم ان ما قالوه على خلاف الشرع... ولقد عظمت على الدين جناية من ظن ان الاسلام ينصر بإنكار هذه العلوم).[1]

من الواضح ان معارضة الغزالي للعلوم الطبيعية والرياضيات هي لأجل مايظنه من تبعاتها السيئة، والا فهو لا يعارض هذه العلوم في نفسها غير أنه لايمنح الاولوية لها على كل حال.

كان الاشاعرة يعتقدون ان المعرفة الوحيدة التي تستحق صفة العلم هي ما وصل عن طريق الرسول الاكرم (ص)، ويقول ابن تيمية (العلم الموروث عن النبي(ص) هو الذي يستحق ان يسمى علماً، وما سواه، اما ان يكون علماً فلايكون نافعاً واماً ان لايكون علماً وان سمّي به ولئن كان علماً نافعاً فلابد ان

---

(١) الغزالي، ابو حامد. المنقذ من الضلال، تصحيح عبد الحليم محمود. القاهرة، دار الكتب الحديثة، ١٣٥٨هـ ـ ص٩٦-٩٨.

يكون في ميراث محمّد (ص))[1].

لم تنحصر المعارضة التي واجهتها العلوم العقلية في المشرق الاسلامي، وانما سرت الى مغربه ايضا: (في المغرب ايضاً كانت علوم الاوائل تواجه معارضة شديدة. وباستثناء كتب الطب والحساب واللغة والفقه، فإن كل ما اجتمع من المؤلفات في سائر العلوم احرق بالاندلس في عهد الخليفة (الحكم بن الناصر) المتوفى ٣٣٦هـ وبحضور خواص العلماء ثم دفنت في الآبار، حيث كان ماعدا علوم الدين من المعارف مذموماً عند اهل الاندلس، فاتهم المشتغلون بالفلسفة والحكمة بالكفر والإلحاد).[2]

وتواصلت هذه المواجهة في العالم الاسلامي حيث يصرح ابن خلدون بأن (مسائل الطبيعيات لاتهمنا في ديننا ولا معاشنا فوجب علينا تركها)[3]. حتى ان حاج خليفة خصص في كتابه (كشف الظنون) في القرن الحادي عشر ١٣٢ سطرا للحديث عن تهافت الفلاسفة للغزالي، بينما لم يترك سوى مساحة هامشية لكتاب ابن رشد (تهافت التهافت) تمثلت بستة اسطر فقط وضمن حديثه عن كتاب الغزالي. واستطاعت الفلسفة كسر طوق العزلة هذا في دوائر محدودة من العالم الاسلامي غير ان العلوم الطبيعية لم تنتعش ابداً.

في اعتقاد جاكي (s.Jaki) القس والفيزيائي الامريكي، ان تخلف العلوم في العالم الاسلامي مرتبط بطبيعة الميتافيزيقيا الاسلامية ولذلك سببان[4]:

---

(١) صفا، مصدر سابق، نقلا عن مجموعة الرسائل الكبرى، طبعة القاهرة ١٣٢٤، ص١٣٩.

(٢) م. ن. ص١٤٧.

(٣) مقدمة ابن خلدون، بيروت: دار احياء التراث العربي، ب. ت. ص٥١٦.

(4) S Jaki, The Absolute Beneath the Relative and Other Essay (University Press of America, 1988), PP. 140-151.

١ ـ ثمة فصل في الرؤية الاسلامية بين الدين والفلسفة (الله هو مصدر الدين، بينما مصدر الفلسفة هو الفكر الاسلامي).

٢ ـ تقرر الرؤية الاسلامية ان الله هو العلة الاولى لسائر الاشياء، وينبغي ان تنسب كلها الى الله مباشرة، فلا مبرر للبحث حينئذ عن العلل الثانوية او ان نعتقد بوجود توسطات بين الله والظاهرة، كقانون الطبيعة.

من الواضح ان جاكي لاحظ رأي الاشاعرة فقط وأغفل مذهب فلاسفة المسلمين وسائر المدارس الكلامية الاخرى، والحقيقة هي ان الاشاعرة احتلوا موقعاً مهماً في بعض المراحل التاريخية وتركوا اثراً عميقاً في مسار العلوم الاسلامية وفيما بعد فإن ثمة عوامل اخرى ادت الى جمود المسلمين وتدهور علومهم.

العلم الحديث والغلو العلمي

استقطبت العلة الغائية للاشياء اهتمام العلماء في القرون الوسطى، باعتبار انهم اعتقدوا بأن لكل شيء موقعاً في سلسلة المراتب الوجودية، لأن مخلوقات الله تنطوي على هدفية محددة، وتم التوفيق آنذاك بين فلسفة ارسطو واللاهوت المسيحي فكان توما الأكويني رائد هذا الاتجاه.

كان الاكويني يعتقد باستحالة التعارض بين العقل والوحي وهو ماحفزه لمحاولة التوفيق بينهما، وهو يرى ان اهم حقائق الالهيات ليس في متناول يد البشر وهو مايدل على ضرورة الوحي، اما العقل فهو قادر على ادراك بعض حقائق اللاهوت نظير وجود الخالق، كما ان الله هو المدبر الدائم للعالم وليس خالقه وحسب، وهو سبحانه عادة ما يتولى ذلك بواسطة الاسباب الطبيعية غير أنه يظهر قدرته احياناً عبر الخوارق والمعجزات.

مع ظهور غاليلو ونيوتن وديكارت في القرن السابع عشر، ولد العلم الحديث، وكان من خصائص هذه المرحلة العلمية الاعتماد على البرهان

الرياضي والملاحظة التجريبية، واقصي هم البحث عن الغايات حيث تم التركيز على وصف الظواهر فقط.

كان ديكارت متديناً ولكنه حاول ان يقدم تصوراً ميكانيكيا عن العالم، وهو لا يرى في الطبيعة سوى آلة، فيقول مفتخراً: (اعطني البعد والحركة، لكي اصنع العالم).[1]

وبعد ديكارت واصل هوبز (١٥٨٨ ـ ١٦٧٩) ملاحقة افكاره وقرر ان الشيء الوحيد الموجود هو المادة المتحركة، واتكر بشكل صريح عالم الغيب واعتبر كل اجزاء الوجود قابلة للوصف نافيا ان يكون ثمة مصدر غير مادي للتأثير في العالم.

اهتم غاليلو (١٥٧٤ ـ ١٦٤٢) المعاصر لديكارت بوصف الظواهر فقط، ولم يكن يتساءل حول علة سقوط الاشياء، وانما تساءل حول كيفية ذلك. وطبعاً فإن العلماء المتدينين لم ينكروا في تلك المرحلة وجود الغايات في الطبيعة غير أنهم نفوا دورها في عملية التفسير العلمي.

كان غاليلو يعتقد ان العالم يتشكل من ذرات لها خاصيتان اوليتان هما الكتلة والسرعة، بينما تمثل الخواص الاخرى كاللون والرائحة رد فعل من ذهن الانسان ازاء العالم الخارجي فقط. ولم يكن يرى أي تعارض بين عقائده الدينية وآرائه في مسائل العلم فهو كاثوليكي متدين يعتقد ان الله هو خالق كتاب التكوين ومؤلف كتاب التشريع وهما كمصدرين للمعرفة لا يمكن ان يتعارضا. اما الكتاب المقدس فهو يتحدث عن المعارف الروحية والمعنوية التي تتطلبها سعادة الانسان وهو لا يتطرق الى قضايا العلم. وقد دوّن كتاب التكوين والطبيعة في تصور غاليلو بلغة رياضية، ويلزم لاستيعابه ان تتقن الرياضيات، وينبغي ايضا

(1) S. Jaki, op.cit., 1992, p.111.

الاستعانة بالحواس والعقل في ذلك: (ان الله الذي منحنا الحواس والعقل والفكر لايريد منا أن نعطلها في اطار التعامل مع المسائل الفيزيائية التي تتجلى امام اعيننا واذهاننا، بواسطة البراهين الضرورية والتجارب المباشرة) [1].

كانت محاكمة غاليلو عاملاً مهد للقطيعة بين العلماء والكنيسة، وكان الكاردينال بيلر ميني خلال هذه المحاكمة يؤكد على ضرورة ان يتعامل مع آراء كوبرنيك (١٤٧٣ - ١٥٤٣م) حول مركزية الشمس بشكل آلي لا بعنوانها قراءة متجددة للحقائق، الا ان غاليلو لم يرتض ذلك.

ان الصورة الميكانيكية للطبيعة والتي رسم غاليلو خطوطها الاساسية، تبلورت على يد نيوتن واتباعه في القرن السابع عشر الميلادي، ويبدو العالم في افكار نيوتن شبيها بآلة معقدة تتحرك بقوانين ثابتة، وكل جزء منها قابل للتحديد بدقة. ونيوتن نفسه كان يعتقد ان الله هو الذي صنع تلك الآلة، ويرى وجود دور متواصل له في هذا العالم ذي الطبيعة الآلية، لأنه لم يهدف الى تقليص سلطة الله وحصرها في ابتداء الخلق، فقرر ان له دوراً مستمراً في اضفاء التوازن على حركة المنظومة الشمسية كما انه يذكر القدرة الالهية في مناسبات اخرى.

تنبه لاغرنج (١٧٣٦ – ١٨١٣م) و لابلاس (١٧٤٩ – ١٨٢٧م) الفرنسيان الى ان الاختلالات التي تظهر في المنظومة الشمسية لاتتجاوز مقداراً ضئيلاً ومحدداً وهي تتكرر مرة فقط كل مليوني سنة، ولذلك فلا حاجة الى تدخل الله في حفظ المنظومة الفلكية والمسافات التي تفصلها عن الشمس. وفي ضوء هذا راجت الفكرة التي ترفض ان يكون اكتساب المعارف العلمية بحاجة الى الاستعانة بالله.

المسألة الابرز هي ان علماء ذلك العصر كانوا يقولون بأن قانون الطبيعة يعكس وجود تدبير الهي وراء ذلك، ويقول نيوتن بشكل صريح:(الا تدل

---

(1) Ibid., P. 422.

ظواهر الطبيعة ياترى على ان وراءها موجوداً غير جسماني حي وحكيم؟)[1].

كانت الفيزياء التقليدية تقرر بوضوح ان الدافع الأصلي للبحث العلمي هو كشف الاسرار الالهية في الخلقة والتعرف على عظمة الإله، ويدرك الطلاب اليوم ان نيوتن اكتشف قوانين الحركة الثلاثة وقانوناً للطاقة وقام بتدوينها في صيغة رياضية، ولكنهم نادراً ما يطلعون على ما كتبه الى الاسقف بانتلي اثناء عمله في كتاب (المبادئ) قائلاً: (لقد كان همي ايضاح تلك الأسس التي يمكن ان تهدي البشر الى الله، ولن اكون سعيداً بشيء بقدر ما يسعدني ان ارى ما صنعته يحقق تلك الغاية) [2].

ويقول ليبنتز: (ان ذلك يتجلى بشكل خاص في العلوم... التي تعكس لنا عجائب الله، قدرته وحكمته وعدله... ولهذا كنت اتوفر منذ مطلع شبابي على الاشتغال بتلك العلوم التي احببتها)[3].

بادر المجمع الملكي البريطاني الذي كان يتشكل من علماء تلك البلاد في تقريره المنشور عام ١٦٢٢، الى حث اعضائه على توجيه بحوثهم العلمية نحو بيان وتعظيم مظاهر القدرة الالهية ومن أجل خير بني البشر ومصالحهم.

بشكل موجز فإن التقليد الغربي الديني اكد على وجود القوانين العامة في الكون وحث على اكتشافها، غير ان نجاح افكار نيوتن في بيان حركة النظم الفيزيائية ضاعف من اهمية العقل بالنحو الذي جعل الكثير من العلماء يغالون في القدرات العقلية معتبرين ان العلم يتمتع بالاستقلالية في التوصل الى الحقائق.

---

(1) Ian Barbour, Religon and Sience, (San Francisco: Harber, 1997), P. 20.

(2) H. S. Thayer, ed., Newtons Philosophy of Nature, (New York: Macmillan,1953), P. 46.

(3) S. Jaki, op cit (1992), p. 428.

وقد اقترح احد العلماء الفرنسيين في القرن الثامن عشر ان يكون عام ١٦٤٢ (أي عام ولادة نيوتن) مبدأ لحساب التاريخ، وادعى لابلاس ان المنظومة الشمسية لاتحتاج في استقرارها وبقائها الى تدخل القدرة الالهية، وحين سأله نابليون عن السبب في عدم تطرقه الى الله في مؤلفاته اجاب قائلاً: (سيدي ... انني لست بحاجة الى ذلك).[1]

بلغت الفيزياء في القرن التاسع عشر مرحلة النضج، ومع ظهور الداروينية اعتقد البعض ان الصدفة يمكن ان تكون مصدراً للنظام الكوني بدلاً عن الإرادة الخالقة، وتزامناً مع هذه التحولات ظهرت فلسفة اوغست كونت (١٧٩٨ — ١٨٥٧ م) التي تناوئ الميتافيزيقيا، وقد ادى مجموع هذه العوامل اضافة الى المنجزات العلمية في النطاق العملي، الى صيرورة العلم ذاته نوعاً من الديانة. وكرست المغالاة في العلم (Scientism) الفكرة التي تقرر ان العلم قادر على ان يقدم تفسيرات لكل الاشياء والحوادث والبنى طبقاً لما يحدده من قوانين، دونما حاجة الى تدخل الإله.

ان اهم عوامل شيوع نزعة المغالاة في العلم هي:

١ ـ اخفاق الاتجاه الذي دعا الى الاستعانة بالإله في المجال العلمي.

٢ ـ النجاح المدهش الذي حققته الفيزياء النيوتنية في تفسير عدد لايحصى من الظواهر.

٣ ـ التشكيك الذي طال برهان النظم وسائر البراهين المقامة على وجود الخالق، والتردد في اهمية الميتافيزيقيا.

ادهش النجاح الذي حققه العلم الجميع، ووفر دوافع للتساؤل حول الحاجة الى الدين في حال امكانية ايجاد حلول لمختلف المشاكل الانسانية بواسطة العلم

(1) Ibid., P. 433.

والتجربة. وهكذا ظهرت دعوة اعادة تقييم الافكار في ضوء المعطيات العلمية الجديدة وتعميم المنهج العلمي الى سائر حقول المعرفة نظير العلوم الانسانية والاجتماعية وغيرها، وراج القول بأن ذلك هو الطريق العملي الوحيد في تحصيل المعرفة، واخيراً فإن البعض مثل لابلاس راحوا يدعون للإتجاه الذي كان يؤمن بأن جميع الظواهر ستفسر اخيراً بقوانين الفيزياء.

يقول كوندروسيه (Condorcet) الفيلسوف وعالم الرياضيات الفرنسي في القرن الثامن عشر (ان الظواهر الفيزيائية والانسانية يجب ان تخضع على حد سواء لعملية التقييم، والشيء الضروري الوحيد هو اختزال الطبيعة في قوانين تشابه تلك التي استخلصها نيوتن بالاستعانة بنظام التفاضل الرياضي).[1]

كما شدد هولباخ الفيلسوف الفرنسي في القرن الثامن عشر على ضرورة ان يستعين الانسان بالفيزياء في كل ابحاثه، (في مواضع الدين والأخلاق وشؤون الحكومة السياسية وسائر العلوم والفنون بل وحتى في مسراته ومصائبه)[2].

ان شيوع المغالاة في العلم بالمستوى الذي اشرنا اليه ورواج الاتجاه التحويلي (الذي كان يؤمن بأن جميع الظواهر ستفسر اخيرا بقوانين الفيزياء) بشكل متزايد، جعل الدين عرضة للتهديد وساهم في سيادة اللادينية. وفي تلك الاجواء كانت المسيحية التقليدية تعد عدواً للعقل بينما اصبح العلم هو الطريق الوحيد لتحصيل السعادة. لقد تخيل اولئك ان الانسان يتمكن بالعلم وحده ان يشيد الفردوس على الارض، وان يستأصل شأفة الشرور من العالم، وقد تعزز هذا الانطباع مع ظهور بعض الفلاسفة التجريبيين في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر.

كان هيوم (١٧١١ ـ ١٧٦٦) يعتقد بأن المعرفة الوحيدة التي يمكن ان يطمئن

---

(1) Ibid., P. 465.

(2) Ibid.

اليها المرء هي المعرفة الحسية، وقد انكر مبدأ العلية ورفض في ضوء هذا برهان العلة الاولى، وهاجم كذلك برهان النظم ومهد لظهور الفكرة التي تجعل منشأ النظام الكوني في ذات الطبيعة لاوراءها.

وبعد هيوم جاء دور كانت (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م) الذي اعتقد اننا نواجه مستويين: ذوات الاشياء، والظواهر (بمعنى الانعكاسات الظاهرة للذات). ونستطيع ان نتعرف على الظواهر فقط ولا طريق لنا الى الاحاطة بالذوات، وفي ضوء هذا فقد ألقى بالعلماء والفلاسفة كذلك في احضان (اللا ادرية).

لقد فصل كانت بين العلم والدين في حقلين مختلفين لكل منهما وظائفه المستقلة، ولذا قرر انهما لايتعارضان، فوظيفة العلم هي الكشف عن الظواهر واسبابها بينما يتكفل الدين بالتوجيه الاخلاقي ويتمثل اساس التدين باستشعار الإلزامات الأخلاقية، اما الإله فهو يمثل مبدأ اساسياً في للنظام الاخلاقي.

جاء بعد كانت، اوغست كونت (١٧٩٨ ـ ١٨٥٧م) ونادى بالفلسفة الوضعية (positivism)، ومع مجيئه بلغ الغلو في العلم والمبالغة في التعويل عليه ذروته. لقد كان اوغست كونت يطمح الى ان يكون مرجعية علمية عليا ونبيا اجتماعيا في الوقت ذاته، ومن وجهة نظره فإن القضايا التي لاتدرك بالحواس لاتتمتع بالصفة العلمية ويعتبر السعي الى التعرف عليها جهدا غير عقلاني، وقد هاجم اولئك الذين يحاولون تحديد علل الاشياء وادانهم بتهمة الوثنية.

ان العامل الآخر الذي عزز الايمان المطلق بالعلم والمغالاة في قيمته هو ظهور الماركسية، ولم يكن ماركس (١٨١٧ ـ ١٨٨٣ م) يقارن منهجه بالاسلوب الفيزيائي وحسب، وانما زعم ايضا انه اكتشف قوانين تخضع لها العلوم الاجتماعية والطبيعية بشكل مطلق.

ومن العوامل الاخرى التي برزت بصفتها نظرية علمية غير أنها تركت تأثيراً فلسفياً عميقاً هو ظهور الداروينية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث

اثرت بشكل كبير في الالهيات، وقد واجهت الدراونية علماء اللاهوت بأربع قضايا:

أ ـ رفض برهان النظم (فسر نشوء النظام عن طريق اللانتظام في نظرية الصدفة).

ب ـ رفض اشرفية الانسان على المخلوقات (اكدت الدارونية على ان الانسان لا يختلف عن باقي الحيوانات الا في جوانب كمية وكيفية).

ج ـ رفض الاخلاق الدينية وطرح نظام اخلاقي داروني (باعتبار أن الطبيعة تقوم على الصراع من اجل البقاء والإنتخاب الطبيعي، فإن عالم الانسان لابد أن يخضع لذلك ايضا).

د ـ مناوءة تعاليم الإنجيل (فيما يرتبط بكيفية خلق الانسان).

ان الاتجاه الآخر الذي تزايدت بظهوره نزعة المغالاة في العلم هو الوضعية المنطقية التي برزت في القرن العشرين، فقد اتخذ هذا المذهب من قابلية الشيء للخضوع الى التجربة، معيارا لقيمته العلمية، ورفض قضايا الميتافيزيقيا على اساس عدم تناول التجربة لها.

توغلت افكار الوضعية المنطقية بإصرارها على اصالة الحس، في الأوساط العلمية وراحت تهيمن على الفيزياء والعلوم التجريبية الاخرى، وقد طرحت مشروعا لـ(وحدة العلم) او (العلم الموحد) يهدف الى اخضاع سائر العلوم (كالفيزياء) لمبدإ اساسي مشترك. وكانت الوضعية المنطقية ترى انه لاحدود للعلم وانه ليس ثمة سؤال يعجز عن تقديم اجابة حياله، وارادوا بذلك ما توفرت فيه الخصائص المطلوبة من الاسئلة، وهم يعتقدون بعدم وجود أي فارق بين علوم الطبيعة والعلوم الانسانية، وحين يتربى الجيل الجديد في اطار مشروع (وحدة العلوم) فإن الفوارق الموجودة سترتفع بين الطبيعيات والعلوم العقلية. وفي هذا السياق كتب نويرث عام ١٩٣٤ رسالة حول (وحدة العلوم) حاول فيها

بناء نظرية في الاقتصاد العلمي، كما ادعى هامبل عام ١٩٤٢ ان المنهج العلمي يتدخل في الدراسات التاريخية ايضاً.

ان اصالة التجربة والحس والقطيعة مع الميتافيزيقيا هي من المظاهر التي اشاعتها مذاهب الوضعية والماركسية والوضعية المنطقية بين العلماء، وهي تهيمن حتى الآن على معظم افكارهم، ويمكن القول بأن سبب غياب النزعة الدينية في الوسط العلمي هو رواج هذه الاتجاهات المناوئة للميتافيزيقيا، كما ادى طروء بعض المتغيرات في القرن التاسع عشر الى تعزيز التعارض بين العلم والدين.

يمثل توماس هاكسلي ابرز المروجين لنظرية التطور الداروتية وكان يؤكد على وجود تعارض حقيقي بين العلم والدين، ويؤمن بالطبيعة العلمية (cientific Naturalism) وهو الاتجاه الذي تبنى المنهج العلمي دون المناهج الاخرى وراح ينفي الميتافيزيقيا ويقدس الطبيعة بديلاً عن الله، وكان هاكسلي يهدف الى بث اللادينية في المجتمع ويدعو الى تقديس الطبيعة.

وفي عام ١٨٦٤ تأسس نادي (X) من اعضاء تسعة[١]، كان جميعهم اعضاء في المجمع الملكي البريطاني باستثناء سبنسر، والامر الذي كان يجمع بين هؤلاء هو الالتزام بالعلم والسعي الى تحريره من آثار الرؤية الدينية، فطرح هاكسلي فكرة الكنيسة العلمية، وبادر اعضاء ذلك النادي الي تأسيس (محاضرات الاحد) كبديل عن طقوس يوم الاحد الدينية، وكانت شؤون العلم وما يعود به على البشر من فوائد هي اهم محاور محاضرات الاحد.

ثمة عامل آخر ساعد على شيوع فكرة التعارض بين العلم والدين أواخر

---

(1) Michael Pool, Beliefs and Values in Science Education (Buckingham: Open University Press. 1995), P.125-126.

القرن التاسع عشر، وهو صدور كتاب دريبر (استاذ الطب في احدى جامعات نيويورك) وكتاب وايت (الرئيس الاول لجامعة كورنيل) بالاضافة الى كتاب ثالث صدر مطلع القرن العشرين لسيمبسون[١]. لقد طبعت هذه الكتب لاسيما الاولين، مرات عديدة، واعتبر الدين فيها عدواً للعلم غير أن كتابة تاريخ العلم التي اضطلعت بها تلك الكتب الوضعية اضحت اليوم مثاراً للجدل[٢].

والمؤاخذة الاساسية التي سجلت على اعمالهم هي انهم اعتمدوا منهجاً انتقائياً فأولوا اهمية كبيرة لأفكار غاليلو وداروين متجاهلين دور الدين في ترويج العلوم في الغرب، فجامعة هارفرد مثلاً بدأت كمعهد مسيحي وظلت هيئتها العلمية طيلة قرن كامل تتألف من القساوسة فقط[٣]، ومن بين اربعين الف خريج عام ١٨٥٥ بأمريكا ظهر اكثر من عشرة آلاف قس[٤].

راح دور الفلسفة يحاط بإبهام اكثر منذ عهد غاليلو حتى القرن العشرين، وانقسم الفلاسفة في تلك الاجواء بين من اختار الاستسلام للعلم، ومن أصر على مواجهة الفرضيات الفلسفية التي اخذت تغالي في قيمة العلم. وفي ضوء ذلك ظل العلم والفلسفة يسيران كحقلين منفصلين مما ترك اثاراً سيئة، تمثلت اولاً بما

---

(1) J.W. Draper. History of the Conflict Between Religion and Science, London, 1875; A.D. White, A History of the Warfare of Science and Theology in Christendom. London. 1896; J. Y. Simpson. Landmarks in the Struggle Between Science and Religion. London, 1925.

(2) C.A Russel, The Confliet Metaphore and its Social Origins, Science and Christian Belife, 1,1989,PP.3-26.

(3) A. Varghese, ed., The Intellectuals Speak Out About God (Chicago· Regenery Gateway, 1984) P. xxii.

(4)Ibid., P. xxiii.

طرء على العلم من انحرافات، وثانياً بما تعرضت له الفلسفة من خسائر على مستوى الاهداف حيث حرم الانسان من امتلاك وعي شمولي بالطبيعة.

وبشكل موجز فإن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر شهدا شيوع اتجاهين بين العلماء، تمثل الاول بأولئك الذين اعتقدوا ان الله هو خالق العالم، والثاني بالمفكرين التنويريين الذين تجاهلوا الإله تماماً، ونتيجة لذلك فقد هيمن جو المغالاة المتطرفة بالعلم، وحتى اولئك الذين كانوا يؤمنون بالله، لم يجدوا من المناسب القيام بأي اشارة في بحوثهم للعقائد الدينية، ولذا فقد هيمنت فكرة تدعو الى اقصاء كل قضايا اللاهوت عن دائرة العلم، وراحت العلوم التجريبية تصبح معياراً لكل شيء. ويذكر اناتل فرانس ان الاعتقاد الذي كان سائداً ايام شبابه هو ان العلم يستطيع تأسيس نظام اخلاقي وقوانين اجتماعية ودستوراً سياسياً واي شيء آخر [1].

ومما يؤسف له ان هذه الرؤية لازالت تسود بعض الاوساط العلمية، الى جانب اعتقاد بأن طرح قضايا الدين في اطار الشأن العلمي يمثل خرقا للتقاليد العلمية، ويقول ايميل (Emmel) عالم الاحياء الامريكي: (اشعر ان العديد من العلماء وبعد ان يتجاوزوا مرحلة الدراسات العليا او بعد ذلك بقليل، يبلغون حداً يرون فيه ان طرح الرؤى الميتافيزيقية واخذها بنظر الاعتبار يمثل نوعا من الشذوذ، ولذا فإنهم يعرضون عن ذلك بقية اعمارهم دون ان يحاولوا الانفتاح على آفاق اخرى قريبة منهم)[2]. وعلى حد تعبير الان ساندغ (Allan Sandage) عالم الفلك المعاصر والشهير فإن (اظهار المرء لتدينه يدعو الى النفور منه

---

(1) S. Jaki, op. cit., 1992,pp 496-497 S. Jaki, op. cit., 1992,pp. 496-497

(2) Henry Margenau & Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Sale, Illinois: Open Court, 1992), P171.

بشدة)[1]. ولكي يتضح مستوى شيوع الجو المضاد للدين في الاوساط العلمية نذكر المثال التالي:

كان بيير دويم (Peirre Duhem) الفيزياوي الفرنسي الذي عاش في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين، كاثوليكيا متدينا اصدر مطلع القرن كتاب نظام العالم (le Sestem du Monde) الذي يؤرخ للعلم ويشتمل على عشرة اجزاء، وصدرت الاجزاء الخمسة الاولى التي يقع كل منها في اكثر من خمسمائة صفحة، بين الأعوام ١٩١٣ ـ ١٩١٧، وقد اتضحت فيها طبيعة الرسالة التي يحملها الكتاب. وتوفي المؤلف عام ١٩١٦ فأوصت اكاديمية العلوم الفرنسية بطبع الاجزاء المتبقية من الكتاب، غير ان ذلك تأخر اربعين عاماً حتى صدر بين ١٩٥٤ ـ ١٩٥٩. وحين ظهر الجزء السابع منه، كتب الكسندر كويري (Koyry) مؤرخ العلم البارز الذي لم يكن متديناً: (ان دويم قدم انجازا مهما الى الحد الذي يصعب العثور على نظير له، فلماذا تأخر صدور اجزاء الكتاب الخمسة المتبقية كل هذه الفترة مع ان اكاديمية العلوم الفرنسية اوصت بطباعته؟. ان السبب الذي يكمن وراء ذلك هو سعي المؤلف الى التدليل على ان جذور العلم الحديث توجد في إلهيات القرون الوسطى، مما دعى الجهات العلمية ذات النفوذ الى منع صدوره بشكل خفي)[2].

ونلاحظ حتى هذا اليوم وجود رفض شديد للدين في مؤسسات الغرب العلمية، ففي السنوات القليلة الماضية قال اتكنز (Atkins) عالم الفيزياء والكيمياء الشهير في اكسفورد: (من المؤسف ان دراسة الإلهيات راحت تؤخذ على

---

(1) ((Science Finds God)), Newsweek, 20 July, 1998, p. 46.

(2) S. Jaki, op. cit., 1988,pp. 173-188.

محمل الجد في اكسفورد حتى انه قد افرد لها كرسي خاص)[1]. وهو يعتبر ان هذا الدرس يمثل جرياً وراء الاوهام، وحدث نظير ذلك عندما خصصت جامعة كمبريدج كرسياً للإلهيات عام ١٩٩٣ حيث راح ريتشارد دوكنز (R. Dawkins) عالم الاحياء الاكسفوردي في حديث مع صحيفة الانديبندنت يسخر من الرأي القائل بأن في مادة الإلهيات قضايا ذات جدوى، وتساءل في نهاية حديثه قائلاً: (ما الذي يدعو الى الاعتقاد بأن الإلهيات اساساً تتمتع بالموضوعية؟)[2].

كذلك فإن جوليان هاكسلي (بن توماس هاكسلي رئيس اليونسكو الاسبق المعروف) وهو احد علماء الاحياء البارزين، راح يردد ان التطور العلمي لم يترك مكانا لله: (استطيع فقط ان ابين هذه الحقيقة البسيطة: ان التقدم العلمي جعل الايمان بما وراء الطبيعة عموماً والايمان بالله بشكل خاص، امرا لامبرر له، لعدد متزايد من بني الانسان)[3].

علمنة المعرفة في العالم الاسلامي

لم يشهد العالم الاسلامي منذ عهد المغول، خمولاً في علوم الطبيعة والرياضيات فحسب وانما انقطع تماما عن التحولات التي شهدتها نقاط العالم الاخرى. وظل ظهور علماء من طراز غياث الدين الكاشاني[4] وبهاء الدين

---

(1) The Gaurdian, 23 Sept., 1996, P. 2.

(2) M. Poole, op.cit., pp. 35-36.

(3) Julian Huxley, Religion Without Revelation (new York: New American Library, 1958), p. 85.

(٤) هو غياث الدين جمشيد بن مسعود الكاشاني (المتوفى ٨٣٢ أو ٨٤١ برواية أخرى) عالم رياضيات وفلكي ولد في كاشان وتوفي في سمرقند وأسس مرصد الغبيك (ع).

العاملي[1] امرا استثنائيا.

لقد تزامن نشوء الدولة الصفوية في ايران (١٥٠٢ – ١٧٣٦م) مع بدايات نهضة العلم الحديث، ولم تكن الحركة العلمية في ايران لتتجاوز العلوم الدينية والفلسفية، كما ان البلاد الاسلامية الاخرى لم تكن تتداول سوى علوم الدين. وفي عهد دولة القاجار (١٧٨٦ – ١٩٢٥ م) دخلت العلوم الحديثة الى ايران عن طريق البعثات الدراسية التي ارسلت الى الغرب حيث تسربت الأسس الفلسفية التي تقوم عليها تلك العلوم ايضاً. وفي تلك الفترة تقريباً توجهت حملة نابليون الى مصر (١٧٩٨ م)، وتأثر اهلها بالعلم الحديث، وقد رافق نابليون في حملته هذه حوالي ١٢٠ عالما وخبيرا في الحقول المختلفة، وطبقا للتوصيات التي قدمها اولئك فقد حضر نابليون صلاة الجمعة في مصر وافتتح بياناته بالبسملة. وفيما بعد راح الخبراء الفرنسيون يتوافدون على مصر كما ارسلت بعثات مصرية للدراسة في فرنسا لتطلع على الانجازات العلمية هناك، وبعد ذلك مباشرة شاع تعريب النصوص العلمية الفرنسية. وشهدت مصر نوعين من رد الفعل ازاء العلم الحديث فسارع البعض الى معارضتها والوقوف بوجهها، بينما احتفى بها آخرون واعتمدوا معطياتها ولوازمها، وكان جمال الدين الأسد آبادي [الافغاني] (١٢٥٥ - ١٣١٤هـ) ممن ابدوا تعاطيا ايجابيا في هذا المجال.

اعتبر جمال‌الدين العلوم الحديثة ذات طابع عالمي يتجاوز الانماط الثقافية الضيقة وراح ينتقد علماء الدين الذين ابدوا معارضة حيالها قائلاً: (الأغرب من كل شيء ان علماءنا في هذا العصر قسموا العلم الى نوعين، وراحوا يطلقون على

---

(١) بهاءالدين محمد بن‌الحسين العاملي (المشهور بالشيخ البهائي) ولد ٩٥٣ هـ ـ بلبنان وتوفي ١٠٣٥ هـ ـ باصفهان. عالم إمامي اشتهر بآثاره في التفسير والفقه، اما كتبه في الرياضيات والفلك فقد ظلت زمناً طويلاً مرجعاً لعلماء الشرق (ع).

الاول علم المسلمين، وعلى الثاني علم الإفرنج وهم يمنعون في ضوء هذا من تعاطي النوع الثاني واستيفاء فوائده، ولم يدركوا ان العلم امر شريف لاينسب الى جماعة ولا يعرف بشيء خارج عنه، وانما تعرف الاشياء والجماعات بالعلم، ويجب ان ينسب البشر الى العلم لا ان ينسب العلم اليهم. ومن العجب ان المسلمين يقبلون على العلوم المنسوبة الى ارسطو برغبة شديدة حتى لكأن ارسطو كان من اعلام المسلمين وكبرائهم، اما اذا نسبت قضية الى غاليلو ونيوتن وكبلر فإنهم يرون فيها كفراً. لقد كان البرهان اساس العلم وليس ارسطو او غاليلو ببرهان عليه، بل الحق يوجد حيث يتوفر البرهان، واولئك الذين يرفضون العلوم والمعارف ويزعمون انهم يصونون بذلك الديانة الاسلامية، هم في حقيقة الأمر اعداء للدين. ان الاسلام هو اقرب الاديان الى العلم والمعرفة، وليس ثمة ادنى منافاة بين العلم واصول الديانة الاسلامية) [1].

غير ان تأييد جمال‌الدين الافغاني وكذلك محمد عبده ورشيد رضا للعلم الحديث كان في اطار الاسلام، وقد استهدفوا بذلك الدفاع عن الاسلام من الاتهامات التي راح يكيلها له المستشرقون، كما سعوا من خلال ذلك الى الرد على السلطة التي ابدت معارضة لحركة التحضر الجديدة.

ظهر في هذا العصر عدد من التنويريين في مصر وألفوا في ذلك كتبا روجت للتغريب والعلمانية ومهدت لظهور التيار الوضعي وتهميش الفكر الديني، ونستعرض فيما يلي اهمهم:

* الطهطاوي (١٨٠١ ـ ١٨٧٣): وهو من خريجي الأزهر، سافر الى فرنسا وكتب مذكرات رحلته التي استعرض فيها حضارة اوربا، ويذكر هناك انه كان

---

(١) الأفغاني، جمال الدين. المقالات الجمالية. جمعها: لطف الله خان اسد آبادي. طهران، خاور للنشر١٩٣٣، ص ٩٥.

يتساءل بأسى في باريس: لماذا يتمتع الغرب بالعلوم والتقنية والصناعة بينما تحرم الدول الاسلامية من ذلك؟ ولهذا فقد دعا بشدة الى تقليد الغرب وقال: (يتسنى للشرق ان يلحق بركاب الغرب)[1].

* علي عبدالرازق (١٨٨٨ ـ ١٩٦٦): تخرج من الازهر ومارس القضاء في محاكم الشرع، وسافر لإكمال دراسته في اكسفورد غير انه عاد الى بلاده عندما نشبت الحرب العالمية الاولى. ألفَ كتاب (الاسلام واصول الحكم) الذي اكد فيه (ان الاسلام دين ورسالة روحية، لادولة فيه ولاسياسة ... وانّ الخلافة الاسلامية كانت ـ كالكهانة الغربية ـ استبداداً وطغياناً باسم الدين... وانّ نبي الاسلام (ص) لم ينشئ دولة ولم يقم حكومة، ولم يصنع الا ما صنعه الرسل السابقون : البلاغ المجرد عن التنفيذ [2]) لقد تشكلت محكمة من كبار علماء الازهر واصدرت حكما بإخراجه من زمرة العلماء ولكن كتابه كان قد فعل فعله.

* قاسم امين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨): ألفَ كتابي (تحرير المرأة) ١٨٩٩ و(المرأة الجديدة) ١٩٠١، واكد (ان الحجاب، على ما الفناه مانع عظيم يحول بين المرأة و ارتقائها، وبذلك يحول بين الامة و تقدمها) [3] و ذكر قاسم امين ايضاً انه (في بلد ينعم بحرية حقيقية، لاينبغي ان يبدي احد خشيته من الآراء التي تنكر الإله ولا تؤمن بالانبياء) [4].

---

(١) الميلاد، زكي. الفكر الاسلامي بين التأصيل و التجديد. بيروت : دار الصفوة ١٩٩٤، ص ٨٣.

(٢) م.ن. ص ٩٨٩٧.

(٣) سعد، حسين. بين الأصالة و التغريب. بيروت: دار الصفوة ١٩٩٤، ص ٨٣.

(٤) امين، قاسم. المرأة الجديدة. طبعة القاهرة، ص ١٠٦ ـ ١٠٧.

* طه حسين (١٨٨٩ ـ ١٩٧٣): كان يقول ان السياسة شيء والدين شيء آخر، واكد في كتابه (الشعر الجاهلي) على ان مدارس العلم مستقلة عن المعاهد الدينية ولايمكن التوفيق بينها، ويردد ان ذكر ابراهيم واسماعيل في القرآن لايكفي في اثبات وجودهم تاريخيا [1]. كما اوصى بالاقتباس من الانظمة السياسية والتربوية الغربية، مبررا ذلك بأن العقل الانساني واحد لايختلف وانه لايوجد أي تفاوت بين العقل الاوربي والعقل المصري. [2]

* خالد محمد خالد (١٩٢٠): اكد على ان (رسالة النبي(ص) كانت رسالة هداية لامشروع دولة) [3].

وهنالك مجموعة اخرى تبنت الدعوة الى اقتباس العلوم الحديثة وروجت لها، وتمثلت بعدد من النصارى في البلاد العربية مثل شبلي شميل (١٨٦٠ ـ ١٩١٧) وجرجي زيدان (١٨٦١ ـ ١٩١٤) وسلامة موسى (١٨٨٨ ـ ١٩٥٨)، وكان دافع هؤلاء لتبني الدعوة الى العلم والفلسفة الحديثين، لاسيما شبلي شميل وسلامة موسى، هو اعجابهم برؤية الاتجاه الوضعي التي روجوا لها[4]، حيث وجد كل منهم في العلم مصدراً حقيقياً للتنوير وتحقيق التقدم المادي واعتقدوا فيه العامل الفاعل للتغيير والتجديد، بعد أن اذعنوا بتفوق الرؤية العلمية ازاء العالم والكون على نظيرتها الدينية.

لقد اصر سلامة موسى على ضرورة ان يعتمد العرب العلم الغربي ويبادروا

---

(١) الميلاد، مصدر سابق، ص.

(٢) صعد، مصر سابق ص ١٦٢.

(٣) م. ن. ص ١٦١.

(4) Majid Fakhry, A History PhilosoPhy (New York: Columbia UniversityPress, 1983), p. 360.

الى تدشين مشروع التنمية الصناعية[1]، اذ في هذه الحالة وحسب يمكن ان يتطور نظامهم القيمي، كما كان يؤكد على انه كلما ازداد معرفة بالشرق ازداد نفورا منه، وفي المقابل كلما تعمق وعيه للغرب اشتد اعجابه به، وقد ناصر في هذا السياق الدعوة الى استبدال الاحرف العربية المستخدمة في الكتابة بالحروف اللاتينية.

وبالطبع فإن بعض هؤلاء المفكرين تراجعوا عن مواقفهم تلك في الاربعينات والخمسينات وعادوا الى تبني المواقف الاسلامية، (فقد حذف طه حسين من كتاب (في الشعر الجاهلي) السطور الثمانية والعشرين التي احتوت المغالطات والتحريفات) . كما ان علي عبد الرازق وخلال تعليق كتبه على احدى مقالات احمد امين، رفض القول بأن الشريعة الاسلامية لا تمتلك سوى بعد روحي فحسب، فقال: (ما ارى الأ ان هناك خطأ في التعبير جرى به لساني في المجلس الذي كنا نتجادل فيه ونستعرض حال المسلمين).

(وما أدري كيف تسربت كلمة روحانية الاسلام الى لساني يومئذ، ولم أدر معناها ولم يكن يخطر لي ببال).[2]

مثّل زكي نجيب محمود في العقود الاخيرة، اهم وابرز دعاة الفلسفة الوضعية في العالم العربي[3]، حيث ترك اعمالاً متعددة في الوضعية المنطقية وفلسفة التحليل اللغوي. ويرى زكي نجيب محمود انه لاينبغي في عصر العلم ان نواصل كأسلافنا اتخاذ الوحي مرجعية معرفية، بل على الفيلسوف المعاصر ان

---

(1) Adel A. Zedat, Western Science in the Arab World (London. Macmillan, 1986), p. 39.

(٢) الميلاد، مصدر سابق، ص١١٦-١١٧.

(3) Majid Fakhry, op.cit,. pp. 360-361.

يتبع منهج العلم التجربي فيتجنب توظيف القضايا التي لاترجع الى الحس كالاصول الميتافيزيقية، ولاينبغي ان ينشغل بالمسائل التي يرجع فيها الى علماء الدين، وانما عليه ان يتوفر على تحليل القضايا التي تكفلت وصف وتفسير الاشياء، ويعمل على تجريدها من الإبهام والموضوعات غير المناسبة.

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبموازاة التحول الذي شهدته مصر، ظهر في الهند السير احمد خان (١٨١٧ ـ ١٨٩٨) وسعى لتبني الدعوة الى العلم الحديث، وقد أسس لهذا الغرض جامعة علمية في الهند وترجم الكتب العلمية الى اللغة الأوردية، وكان يعتقد ان ((تخلف المسلمين ينشأ عن المعتقدات الخرافية التي فشت، بينهم والى رفضهم معطيات العقل وتسليمهم الأعمى للنقليات)) ويرى انه لابد من اعادة قراءة اصول الاسلام في ضوء العلم الحديث وذلك الى جانب قوانين الطبيعة التي اكتشفها العلم، ولذلك دعا الى تظافر الجهود العلمية لتأسيس علاقة وثيقة بين العلم الحديث والدين الاسلامي، ووصف السير احمد خان استعمار بريطانيا للهند بأنه من اروع الظواهر في العالم[1].

اما في ايران فقد بدأ ظهور التنويريين والدعوة الى التغريب قبيل الحركة الدستورية (المشروطة) (١٩٠٥-١٩٠٦م) وكانت الدعوى الاساسية لذلك الاتجاه هي ان اتباع النمط الغربي في النهضة يشكل الطريق لتقدم المسلمين. كان الميرزا ملكم خان (١٢٤٩ ـ ١٣٢٦هـ) يعتقد ان الاخذ بالتجربة الغربية لا ينبغي ان يكون عبر آلية ابداعية وانما لابد ان نكون في صدد الاتباع لها: (في كل المجالات،

---

(1) Mawdudi On Education, trans, & ed., S. M. A. Rauf (Karachi:The Islamic Academic Press, 1988), p.24.

من صناعة السلاح الى صناعة الاحذية، كنا ولازلنا بحاجة الى التقليد)[1]. وقد اقترح منهجاً لتطوير البنى الحضارية تتمثل في استدعاء الخبراء الاجانب والاستفادة منهم في ادارة البلاد، اضافة الى ارسال بعثات دراسية لاكتساب العلوم والتقنيات الغربية (وعلى حد تعبيره: من اجل ان يصبح اولئك الطلبة آدميين) وكان يؤكد على ضرورة توفير الفرص للاستثمارات الاجنبية عبر منح الامتيازات للغربيين[2].

وقد رأى ذلك الاتجاه ان المعتقدات الدينية تؤدي الى ضعف كل من الشعب والنظام السياسي، وان الطريق الى تجنب ذلك هو الاقتداء الكامل بالغرب. يقول آخوند زادة (١٢٢٧ ـ ١٢٩٥هـ): (يتولى الغربيون اليوم وفي اطار معطيات العلم الحديث بحث اثر العقائد الباطلة أي عقائد الدين، وهل هي تساهم في تطوير الشعب والنظام السياسي ام هي ذات اثر عكسي تماما؟ ويتفق كل فلاسفة الغرب على ان تلك المعتقدات تؤدي الى انحطاط كل من الشعب وحكومة البلاد) [3]. ويقول تقي‌زاده احد التنويريين : (يجب على ايران ان تعتمد التغريب في الظاهر والباطن، شكلاً ومضموناً، وكفى)[4].

وفي مقابل هذه التحولات التي هددت الوضع الديني، قرر جمع من قادة

---

(١) آدميت، فريدون. فكر آزادى ومقدمه نهضت مشروطيت (وعي الحرية ومقدمات الحركة الدستورية) طهران: سخن للنشر ١٩٦١. ص١١٥.

(٢) م. ن. ص ١٥٠.

(٣) آدميت، فريدون. انديشه‌هاى ميرزا فتحعلي آخوند زاده (في فكر الميرزا آخوند زادة) طهران: دار الخوارزمي ١٩٧٠، ص١٩١.

(٤) براون، ادوارد. تاريخ ادبيات ايران، از آغاز صفويه تا زمان حاضر(تاريخ الادب الايراني) ترجمة: رشيد ياسمي. طهران: آثار بركزيده جاويدان، ١٩٥٠، ص ٣٤٠ـ٣٤١.

الفكر الديني المبادرة الى الدفاع عن القيم الدينية، وكانْ احد الاساليب الدفاعية الاكثر شيوعا في العالم الاسلامي هو توظيف المفاهيم القرآنية والسنة الشريفة من اجل تقديم صورة للاسلام تنسجم مع العلم الحديث، حتى ان البعض ذهب الى ان الاسلام تنبأ بالكثير من الحقائق العلمية الحديثة. وبعبارة اخرى فإن ذلك الاتجاه حاول ان يجد اساساً قرآنياً للعلوم الحديثة، وقد ألفت في هذا الشأن كتب عديدة استهدفت جميعها تقديم الاسلام بشكل علمي والتدليل على تطابقه مع العلم المعاصر. حتى ان الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ ـ ١٣٢٣هـ) اعتقد ان الميكروبات ليست شيئاً آخر غير الجن، وكان يقول: (إنه يصح أن يقال : ان الاجسام الحية الخفية التي عرفت في هذا العصر بواسطة النظارات المكبرة، وتسمى بالميكروبات يصح أن تكون نوعا من الجن وقد ثبت أنها علل لأكثر الأمراض. قلنا ذلك في تأويل ما ورد من أن الطاعون من وخز الجن. على أننا نحن المسلمين لسنا في حاجة إلى النزاع فيما أثبته العلم وقرره الأطباء. أو اضافة شيء اليه مما لادليل في العلم عليه لأجل تصحيح بعض الروايات الآحادية فنحمد الله تعالى على أن القرآن أرفع من أن يعارضه العلم)[1]. كما ادعى البعض ان القرآن سبق وان تنبأ باختراع الاقمار الصناعية والمذياع والتلفزيون واكتشاف الالكترون، واستفاد آخر من الآية الكريمة (نار الله الموقدة) انها تدل على اشعة (x)[2].

غير ان هذا المنهج راح ينفي الميتافيزيقيا بشدة ويجعل منها محض تراث يوناني، ويرى ان منهج القرآن يتمثل بمنطق تجربي صرف وان حقائق المبدأ

---

(١) رضا، الشيخ محمد رشيد، تفسير المنار، ج٣. مصر: دار المنار ١٣٧٣هـ. ص٩٦.

(٢) شريعتي، محمد تقي. تفسير نوين (التفسير الحديث) طهران: دفتر نشر وفرهنك اسلامي، ١٩٧٤، ص ٦٤.

والمعاد تكمن في الفيزياء وعلوم الطبيعة، وبالتالي فإن العلوم الطبيعية تتولى معالجة القضايا العقيدية فبلغ الامر بالبعض انهم اعتقدوا بأن العلم الحديث وبعد مرور آلاف السنين استطاع ان يرسم طريق الرسل والانبياء. يقول المرحوم المهندس مهدي بازركان في كتابه (الطريق المطوية) الصادر عام ١٩٤١: (لقد وجد الانسان سبيل الفلاح في هذه الحياة من خلال ما ابدعه من علوم وعبر سعيه الذاتي، وهو ذات السبيل الذي دعا اليه الانبياء) [1].

مهد هذا الاتجاه المتأثر بالفكر الغربي، لظهور الماركسية في العالم الاسلامي، حيث ان جذور كلا هذين اللونين من التغريب تكمن في النزعة الحسية التي جاء بها العلم الحديث عبر تقنياته ومفاهيمه الى بلاد الاسلام. وفي الحقيقة فإن العلم الذي وجد طريقه الينا لم يقدم لنا معطياته العلمية دون مقابل، وانما جاء ايضاً بالفكر الوضعي الذي يجرد الغيب من قيمته ويصر على اهمال الدين. كما ان الدارسين، ورغم انهم لم يبدوا في الظاهر أي ميل نحو التحولات الفلسفية، كانوا في واقع الأمر قد تأثروا بالاتجاه الوضعي في الفلسفة، الذي كان يقصر القيمة العلمية على العلم التجريبي وحسب، واذا اراد هؤلاء ان يتمسكوا بتصوراتهم الدينية فإنهم كانوا يلجأون الى عمل توفيقي بينها وبين لوازم تلك الفلسفة الخطيرة، وهو ما ادى بشكل اساسي الى تكوين ظاهرة غياب عنصر الأصالة في الافكار.

وبلغ الامر ببعض المفكرين المسلمين في القرن الاخير الى القول بأن رؤية الاسلام للكون هي رؤية الاتجاه الوضعي ذاتها، والطريق الى اكتشاف حقائقه هو نفس المنهج التجربي، ويكمن سبب ما يطالنا من تخلف في لهاثنا وراء

---

(١) بازركان، مهدي. راه طي شده (الطريق المطوية) طهران: شركت سهامي انتشار، ١٩٧١، ص١٢٤.

الفلسفة، حيث يجب ان نأخذ كل شيء من العلوم الحديثة.

لاشك في ان العلوم الطبيعية تهدينا الى قوانين ونظم تحكم الكون، غير ان القرآن يطالبنا بأكثر من ذلك، فهو يتحدث عن الغيب وينهانا عن الاكتفاء بملاحظة ظواهر عالم الطبيعة ﴿يعلمون ظاهراً من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾ الروم ٧. لايوجد في اطار الرؤية التجريبية مكان للدين، ونحن نواجه في مؤسساتنا العلمية حالة من الازدواجية، فنميل من جهة الى صيانة قيم الاسلام، ونتعاطى من جهة اخرى مع علوم ليس فيها مكان للبارئ عز وجل، لذا فإن البعض يعمدون الى تهميش القيم الدينية، والبعض الآخر ممن يحرص عليها يلجأون الى التعامل مع هذين المسارين العلمي والديني بشكل منفصل لتجنب الصدام بينهما وبالتالي يصبح الحال وكأن الدين يحتل احدى زوايا تفكيرهم، بينما يتحرك العلم في ناحية اخرى، فيتلقى الطالب العلوم الحديثة دون ان يعبأ بخطر أسسها او معطياتها الفلسفية وهو يتلقى ذلك كوحي منزل، غافلاً عن حقيقة ان كل النظريات العلمية تنطوي على مضمون ميتافيزيقي مركز. وتساهم هيمنة الرؤية الوضعية على عقول الاساتذة في تكريس ذلك، حيث تسود اليوم ثقافة المغالاة الشديدة بالعلم والتي تناوئ الفلسفة، ونلاحظ في فضاءاتنا الجامعية وجود آصرة وثيقة بين نزعة المغالاة تلك والتعاطي السلبي مع الفلسفة.

وعلى خلفية من ضعف الرؤية الفلسفية والجهل بإمكانيات العلم وصلاحياته الذاتية، فإن العلم راح يقدم لنا انواعا مختلفة من وصفاته الجاهزة ويلزمنا باعتمادها في معالجة سائر ازماتنا، كما أخذ يحدد لنا هيكلية الدين ذاتها على حد تعبير بعض المثقفين من مواطنينا. وراحت الشريحة المثقفة التي لها حظ من التدين ترى ان دوره محدود في دائرة الاخلاق وشؤون الآخرة، ويغفل هؤلاء ان الاسس العلمية تتعرض لجدل شديد في الغرب نفسه من جهة، وان العلم الغربي ورغم منجزاته الكبيرة لم يحالفه التوفيق في مجالات مهمة من جهة اخرى. كما

انهم يتجاهلون ان العلم ليس نتاجا عقيما وانما يحمل في طياته مضامين ميتافيزيقية مركزة، علاوة على ان العلم ذاته يظل بحاجة الى توجيه ميتافيزيقي دائم وهو يطرح العديد من المسائل التي لانترقب منه ان يقدم اجابة عليها، مما ادى الى ما نلاحظه في الغرب من سعي للعودة الى الدين وعالم الروح.

لقد ادرك الكثير من علماء الغرب عجز العلم حين يتجرد من الدين عن تأمين سعادة البشرية، ولاحظوا انه يخلق ازمات متعددة، ولكن ما يؤسف له هو ان هذا التيار العالمي لم يصل بعد الى اوساطنا الثقافية والعلمية مع ان بعضها تتخذ من الغرب مناراً وقبلة، ولذا فإنه ورغم تراجع حدة المغالاة في العلم على الصعيد الغربي، لازلنا نشاهد بعض مثقفينا وهم يدعون الى الالتحاق بركب العلم كسبيل وحيد للنهضة ويقدمون الوعود بفرص كبيرة يوفرها انفتاحنا التام على المعرفة الحديثة.

بشكل موجز فإن حديث هؤلاء يرمي الى ان الفشل في اشاعة ميتافيزيقيا العلم الحديث في مجتمعاتنا سيؤدي الى تضاؤل شديد لفرص التنمية العلمية فيها، غير انه يلزمنا استذكار حقيقة ان حاملي العلم في عصر الازدهار الاسلامي، كانوا في الوقت نفسه يتمسكون بعقيدة التوحيد وقيم الاسلام، ولم يكن العلم يشكل لهم غاية في حد ذاته بل كان يعد وسيلة لتحقيق الاهداف الدينية، لأن الحياة في تصور الانسان المسلم لن تنتهي بعالم الطبيعة بل ستتواصل في عالم آخر غير مرئي، لكن العلمانية القادمة من الغرب هي التي عملت على اضعاف هذه الرؤية.

تبعات العلمنة واقصاء العلم الديني

كان لاستبدال العلم الديني بالمعارف العلمانية في بلادنا الاسلامية تبعات متعددة:

١ ـ ظهور نزعة المغالاة في العلم واستغلال ما ينطوي عليه من اهمية بشكل سيئ.

٢ـ ظهور ازمة الهوية.
٣ـ رواج النسبية في اطار المعتقد الديني.
٤ـ قصر دور الدين على قضايا الاخلاق وشؤون الآخرة.
ونقوم هنا بمعالجة هذه القضايا وبلورة ابعادها كل على حدة :

١ـ نزعة المغالاة في العلم

في ضوء النجاح الذي حققه العلم الحديث في المستويات النظرية او الجانب العملي، ظهرت بين المسلمين نزعة استثنائية تغالي في العلم بشدة وتخضع له سائر الاشياء، بالنحو الذي جعل مايدلي به المتخصصون في العلوم الحديثة من آراء في الشأن العقيدي، حقائق تتمتع بمصداقية كبيرة رغم ان ذلك خارج عن نطاق اختصاصهم، وفي هذا السياق اساء البعض توظيف مواقعهم العلمية واخذوا بالتشكيك في العقيدة الدينية وحتى بتلك القضايا المسلّمة، ولازلنا نشاهد ذلك حتى اليوم. كما ان بعض اصحاب المسؤوليات في الشأن الثقافي يتجاوزون ذلك ويمارسون غض النظر عن مثل تلك الآراء خشية ان يتهموا بمناوءة العلم.

ومما يؤسف له ان اجواء المتعلمين تشبعت بروح المغالاة في العلم، وعلى هذا الاساس اصبح من السهل استغلال هذه الاجواء عبر توظيف الشعارات العلمية للاستحواذ على وعي الجمهور بلغة خطابية. ويتمثل علاج ظاهرة الغلو في العلم في بيان حدوده ونطاقاته وايضاح حقيقة انه عاجز عن تقديم الحلول الشاملة لسائر المشاكل باعتبار محدوديته تلك، كما ينبغي ان ندرك اننا نمتلك اسساً عقلية متينة للمواجهة الفكرية مع الاتجاه العلماني.

لقد ظهرت مؤلفات عديدة في الغرب خلال العقود الاخيرة حول هذه الاشكالية ولكنها لم تترجم مع الاسف، وفي الوقت الذي تعج فيه اصداراتنا ومطبوعاتنا بالترجمات التي تحمل افكار الاتجاه الوضعي واتجاه مابعد الحداثة

فإنها لاتقدم مادة جامعة تعكس صورة كاملة لجميع التيارات العقلانية التي ظهرت في الغرب. وعلى سبيل المثال فقد ترجمت نماذج عديدة من افكار جان بول سارتر الالحادية التي يقول في بعضها وبصراحة (مثلاً في كتاب الوجود والعدم): لو كان الإله موجوداً لما كنت اتمتع بالحرية، غير أنني حر ولذلك فإن الإله غير موجود[1].

ولكن جهود الترجمة لم تمتد لتستوعب اعترافات سارتر التي سجلها أواخر حياته. لقد قال قبيل وفاته وهو يحاور احد الماركسيين (لا اعتقد انني امثل محصلة للصدفة... ذرة غبار تائهة في الكون، بل انني امثل نتيجة كان ينبغي ان تتحقق، شيئا أعد وأعطي شكله مسبقاً، انني باختصار كائن لايستطيع سوى الخالق ان يوجده، ان هذه الفكرة تشير الى قدرة خلاقة تتجلى في الله)[2].

لقد تجرد سارتر بهذه الكلمات عن كل ما يتعلق بالمنظومة الفكرية التي ابدعها هو بنفسه. والمثير ان سيمون دي بوفوار (Simon de Beauvoire) رفيقته (زوجته غير الرسمية) تصرفت كأرملة مفجوعة اثناء مراسم دفنه، غير أنها كتبت بعد ذلك مقالاً هاجمت فيه سارتر بشدة قائلة: كيف يمكن تبرير كلمات ذلك الخائن الحمقاء؟، واضافت: (ان سائر اصدقائي، وجميع اتباع سارتر، ومجموعة المحررين في مجلة الازمنة الحديثة(Les Tempmoderns) التي اصدرها سارتر يؤيدون حيرتي هذه).

تمثل مهمة تعيين حدود العلم جهداً فلسفياً، وهذا ما تجاهله عدد من العلماء المعاصرين، حين تصوروا ان كل آرائهم تستند الى مرجعية علمية صرفة لاتترك

---

(1) J. P. Sartre, Being & Nothingness, (New York: Washington Square Press, 1966), trans. By Hazel E. Barness, pt Four, Ch1.

(2) National review, 11 June 1982,P. 59.

دوراً للفلسفة، وفي ضوء هذا فإنهم لم يعودوا يمتلكون أي مبرر لأخذ الفلسفة بنظر الاعتبار الأمر الذي ادى الى حرمانهم من ادراك حدود المعرفة العلمية.

ينبغي ان يتضح ان كل الوان انكار الفلسفة هو في حد ذاته نوع من الفلسفة، ولذلك فإن فرانك ويلتشك (Frank wilczek) عالم الفيزياء البرينستوني واثناء تعريفه بكتاب واينبرغ (Wienberg) (رؤى ونظريات نهائية) الذي تولى فيه نقد الفلسفة، قرر ان واينبرغ وعلى الرغم من وجهة نظره، فهو انما يقدم جهدا فلسفيا[1].

٢ ـ أزمة الهوية عند المسلمين

في ضوء التخلف الذي طال ميادين العلم والتقنية اصبحت العديد من الدول الاسلامية ضحية ازمة في هويتها، وباعتبار ان الغرب مدين للعلم في تطوره، فإن الكثيرين يعتقدون بضرورة اعتماد العلوم الغربية بشكل كامل ورفض كل ما يعارضها او لايستند اليها، وبسبب اقصاء المعارف العلمانية للدين راحت اهمية الموضوعات الدينية تتضاءل بشدة في تلك البلدان، كما ان العديد من الباحثين المسلمين الذين اقتبسوا الافكار الغربية اضحى من الصعب عليهم ان يفكروا كمسلمين او يلاحظوا الاشياء كما ينبغي للانسان المسلم، وقد اوضح ابو الاعلى المودودي عام ١٩٣٤ هذه الحقيقة بشكل وافٍ حين قال: (لقد اعتقد هؤلاء بصحة كل الدعاوى الغربية، وراحو يتبعونها في كل مارأته خاطئا، ان معايير الحقيقة والسلوك والحضارة والاخلاق والانسانية... لدى اولئك هي معايير خاضعة للمواصفات الغربية... وهم يرتضون كل ما استوفى المواصفات تلك ويفخرون به، بينما يرفضون بوعي او دون وعي مالم

(1) Physics Today, April.

تشمله المباركة الغربية)[1].

في الوقت الذي ينبغي على البلدان الاسلامية ان تلاحق مسارات التطور العلمي وتواكب الحالة العلمية بشكل كامل، فإنه يلزمها ان تعمل على صيانة هويتها وتتحرك طبقا لمصلحة الامة الاسلامية، وحيث لايعني هذا اهمالا لشأن العلم والتقنية الحديثة فإنه يؤكد ان مجرد اللهاث وراء الغرب عاجز عن تحقيق النهضة والاستقلال اللذين نطمح اليهما، لاسيما وان الغرب نفسه وخلال العقود الاخيرة راح يدرك الجوانب السلبية التي ينطوي عليها العلم وتقنياته. ولأجل هذا بادر بعض المفكرين الغربيين الى اعلان نتيجة مفادها:

اولا: لقد أدى الاكتفاء بالعلم التجريبي الى تقديم صورة مشوهة عن الانسان اختزلت ابعاده المهمة واعاقت تكوين تصورات شاملة عن الكون.

وثانيا: لايمكن للعلم التجريبي في حد ذاته ان يؤمّن لمساراته الوجهة المناسبة، ولأجل توجيه الجهود العلمية نحو تحقيق الأمن والاستقرار للمجتمع الانساني، لابد من توفير آلية توجيه من خارج العلم.

ان المجتمعات الاسلامية في وضعها الحالي بحاجة الى كفاءات تجمع في آن واحد بين امتلاكها احاطة كافية بالرؤية والمنهج الاسلاميين، وخبرة كاملة بالعلوم الحديثة، وسيتمكن هذا النموذج من العلماء في نفس الوقت الذي يتبنى الاسلام، من المساهمة الفاعلة في تحقيق التنمية العلمية والتقنية التي ننشدها.

٣ ـ رواج النسبية في المعتقد الديني

يشهد هذا العصر سيادة المعارف العلمانية التي تعد مطلقات تقول الكلمة

---

(1) Sayyid Abdul Aala Mawdudi, West Versus Islam (Delhi. Markazi Maktaba Islami, 1992), p. 3.

الفصل، وتغري العلماء بأن لايتملكهم ادنى تردد في معطيات نظرياتهم. وفي الوقت ذاته نلاحظ ترويجا لمفاهيم النسبية والتعددية في دائرة حقائق الدين وقيمه، ويبرر هذا الاتجاه موقفه بأن المعطيات العلمية تمثل محوراً للإجماع العلمي، بينما يشهد حقل المعتقدات والتشريعات الدينية اختلافاً شديداً في الرأي. وتتجاهل هذه الاستنتاجات عدة حقائق اساسية:

أ ـ لايوجد اتفاق في الرأي حول مضامين العديد من نظريات العلم المهمة والشهيرة في هذا العصر (ويكفي ملاحظة حجم التباين بين التفسيرات التي قدمت لنظرية النشوء والارتقاء لداروين).

ب ـ تتعرض اليوم أسس ومبادئ العديد من النظريات السائدة الى جدل ونقاش شديدين في الوسط العلمي.

ج ـ ان بعض النظريات العلمية ورغم اختلاف اساسها الفلسفي، تتولى معاً وبنفس حجم القيمة، تفسير المعطيات التجربية ولهذا فإن بعض العلماء والفلاسفة المعاصرين راحو يتحدثون عن فكرة التحديد الناقص للنظريات (under determination) بواسطة المعطيات التجربية (أي ان المعطيات التجربية وحدها تعجز عن تأييد احدى الفرضيات مقابل الفرضيات الاخرى)[1]. وفي ضوء هذه الحقائق لايبقى اساس موضوعي متين للطابع المطلق الذي يمنح لنظريات العلم، مقابل الاصرار على وصم المعارف الاخرى بسمة النسبية.

كما لاتنطوي ظاهرة تكامل المعرفة على مبرر لرفض الاعتراف بوجود قضايا ثابتة وادعاء ان كل شيء في حالة تغير مستمر، وفيما اذا لم يؤخذ عنصر او مجموعة عناصر ثابتة بنظر الاعتبار فإن ذلك سيؤدي الى حالة من الفوضى

---

(1) J. T Cushing, Quantum Mechanics (Chicago: the University of Chicago Press, 1994), pp. 204-207.

لاتمت الى تكامل المعرفة وتطورها بصلة.

يدعونا القرآن الكريم الى اتباع الطريق الحق، ونتساءل: هل سبيل الحق ذاك متغير ولايتمتع بالثبات؟ لانشك في ان الافهام وبمرور الزمن تتغير بمعنى انها تتعمق، ولكن هل يتيسر الحديث اساساً اذا لم نحدد دائرة الثوابت؟ وتتضح هذه الفكرة بشكل جيد عبر تفصيلات المناظرة العلمية التي جرت بين مورتيمر ادلر (Mortimer Adler) الفيلسوف الامريكي المعاصر، وبراترند راسل الفيلسوف البريطاني المعروف[1].

فقد نظمت احدى المؤسسات الامريكية تلك المناظرة اواسط الثلاثينات لتناقش: هل الأسس الثابتة والمطلقة تتوفر في البحث العلمي ام لا؟ كان ادلر يعتقد بوجود تلك القضايا الثابتة، اما راسل فقد كان لايبدي اهمية لمناظره فتعامل مع ادلر بشيء من الاستخفاف، غير ان المناظرة لاقت ترحيبا شديدا من الجمهور ودعي ادلر ثانية لمناظرة راسل، الا انه اشترط في موافقته على ذلك، ان يتبنى راسل قضية واضحة ويوافق على تبني ادلر لنقيضها وتدور المناظرة في الاطار هذا. واخيرا فإنه قد طرأ ما حفز راسل على ان يقبل بشرط ادلر، وكانت القضية التي طرحها كأمر يعتقد به هي (ان العلم يكفي لبناء حياة جيدة ومجتمع جيد) وفي المقابل فإن ادلر تبنى نقيضها معرباً عن سعادته بذلك.

افتتح راسل المناظرة مؤكداً ان العلم مفيد للحياة وللمجتمع، ولكنه نبه اثناء ذلك الى ان العلم عاجز عن تحديد ما ينبغي وما لاينبغي، ولذلك فهو لايستطيع ان يحدد كيفية تحقيق حياة جيدة في المجتمع، وهذا مايدلل على ان الاسئلة التي تدور حول القضايا القيمية لايمكن تقديم اجابات موضوعية حولها الا بواسطة المشاعر.

---

(1) Mortemer Adler. "Questions Science cannot Answer", in the Logic of Science (New York: St. Johns University, 1964), pp. 3-5.

اما ادلر فقد ذكر ان مسألة القيم اذ امكن معالجتها عبر المشاعر فإننا سننقل التساؤل الى ذات الشعور: فهل تلك المشاعر حسنة وجيدة بنفس الدرجة؟ عندئذ بادر راسل الى مهاجمة هتلر معتبراً ان الموقف الألماني كان سيئاً جداً بينما عبر البريطانيون عن الموقف الايجابي الصحيح. لقد قرأ ادلر تصريحات راسل في صحيفة (نيويورك تايمز) وعلق قائلاً: (حضرة اللورد راسل: استنتج من حديثك انك تمتلك مشاعر خاصة بينما كان لهتلر لون آخر من المشاعر، وقد وصفت موقفك وموقف بريطانيا بأنه مثّل جانب الحق، في حين مثّل هتلر جانب الباطل. واتساءل: بأي معيار اصدرت هذين الحكمين ازاء موقفي بريطانيا وهتلر؟ اذا لم يكن ثمة معيار حسي آخر للمشاعر، او اذا كان الامر يتعلق بالمشاعر وحسب، فإن لهتلر ايضا ان يشعر بأن الحق معه هو. ان الشيء الوحيد الذي يمكنه ان يعالج قضايا الاختلاف بما تشتمل عليه من صواب وخطأ هو القوة، أي امتلاك السلاح الاقوى وعدد الرجال الأوفر. واذا كان ثمة طريق حسي لحل نظير هذه القضايا فيجب ان يتوفر معيار يحدد في المشاعر صوابها وخطأها، حسنها وقبحها. وانا اسلم معك ان الشيء الوحيد الذي يحتمل ان يتمكن من تحديد ذلك هو المعرفة، اذن فلابد ان نذعن للنسبية الصرفة في تلك الاحساسيس مثلا وبالتالي في معطياتها، او نذعن بوجود معرفة اخرى غير العلم، لأنني اوافقك ان العلم عاجز عن معالجة أي مسألة قيمية). وكان راسل على استعداد للأخذ بالخيار الاول أي معالجة المسألة عبر مفهوم النسبية.

ان كل مايطرح بعنوانه نظرية، ينطوي على افتراض قضية او عدة قضايا كثوابت ومسلمات مطلقة، اما اولئك الذين يعتبرون ان قراءة الدين لابد ان تخضع للعلم الحديث ويدعون ان التحولات العلمية تؤدي قطعا الى تغيير بنية الدين، فإنهم لم يدركوا وظيفة العلم بشكل جيد ولم يستوعبوا ايضا طبيعة دور الدين، ولاشك ان الاطلاع على العلوم المختلفة يؤثر على لون رؤيتنا و وعينا

للكون، غير ان تعميق وعينا هذا لا يعني عدم وجود القضايا المطلقة.

لقد تطرق القرآن الكريم الى مستويات مختلفة للمعرفة: ﴿وفوق كل ذي علم عليم﴾ يوسف ٧. وروي عن الامام الصادق(ع) قوله: (كتاب الله عز وجل على اربعة اشياء: على العبارة والاشارة واللطائف والحقائق. فالعبارة للعوام والاشارة للخواص واللطائف للأولياء والحقائق للأنبياء).[١] كما اشارت بعض الاخبار الى ظاهرة تكامل المعرفة بمرور الزمن: (وكم من حامل فقه الى من هو أفقه منه) [٢].

وتنشأ الدعوة الى قراءة الدين عبر معطيات العلم الحديث واقصاء دور الوحي في ذلك، عن الجهل بحدود المعرفة التجريبية وإغفال ان نظريات العلم والتفسيرات التي تقدم ازاءها لا تحمل سوى قيمة مؤقتة وحسب، بل حتى النظرية النسبية لانشتاين انما تستند الى أسس عدة.

من الواضح ان المعارف الحسية يطالها التحول والتغير، الا ان السنن الالهية ورغم حركة الطبيعة، تمثل قوانين ثابتة، ونحن في واقع الامر نتعامل مع نوعين من المعارف:

أ ـ المعارف التي لها خاصية التحول والتغير، مثل العلوم الطبيعية.

ب ـ المعارف التي هي ثابتة في مستواها العام، غير أنها عرضة للتكامل والتعميق، نظير مسائل المبدأ والمعاد. ويمكن القول بإيجاز ان الجانب الثابت من الشريعة هو ما يشمل الأسس والغايات، ويتمثل الجانب المتغير بالفروع والاساليب والآليات.

---

(١) المجلسي، محمد باقر. بحار الانوار، ج٨٧ بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ ص ٢٨٧.

(٢) م. ن. ج٢، ص١٦٤.

٤ ـ تقليص دور الدين

ان احد منجزات المعارف العلمانية هو تقليص دور الدين في دائرة قضايا الأخلاق والآخرة، وهنالك فريق وقع تحت تأثير العلمانية، وراح يروج لفكرة ان الدنيا لابد أن تدار بالعلم (بمفهومه السائد)، ويتعلق الدين بشؤون الآخرة فقط حيث ان التعاليم الدينية تلاحظ العالم الآخر وحسب، ولو لم تكن ثمة حياة أخرى لما بقيت حاجة للدين، فينبغي على العقلاء ان يتولوا ادارة العالم عبر التدابير العقلانية.

المبرر الذي يتمسك به هذا الاتجاه هو ان المجتمعات العلمانية في الغرب تجاوزت العديد من مشاكلها، الا ان الحقيقة التي تجاهلها هؤلاء هي الترابط الوثيق الذي يصل بين الابعاد المختلفة للحياة ويجعلها تؤثر في بعضها، ويختزل الاسلام احيانا في الصلاة والصيام والحج على المستوى العملي، بينما تختزل المعارف الاسلامية في علم الفقه، وفي ضوء هذه الفروض يكون من المنطقي استنتاج استقلالية الدنيا عن الدين.

الا انه لايمكن الالتزام باستقلالية كل من ابعاد الحياة وجوانبها عن الآخر، كما لايسوغ اختزال الاسلام في احكام الفقه، وعلى حد تعبير الشهيد مطهري: (ذهب البعض الى اكثر من ذلك وقالوا : ان الحياة بسائر جوانبها تمثل مسألة، بينما يشكل الدين مسألة اخرى، ولاينبغي ان تخلط الدين بقضايا الحياة. ان خطأ هؤلاء الاول هو انهم يفترضون جوانب الحياة منفصلة عن بعضها. كلا ... ان الحياة وحدة تمتزج فيها مختلف الشؤون، ويؤثر فساد او صلاح كل من تلك الشؤون في نظائرها الاخرى. لايمكن للمجتمع الذي يتسم بالوضاعة في ثقافته ومعاييره وسياسته واخلاقه وتربيته واقتصاده، ان يحافظ على دينه سليما. واذا فرضنا ان الدين يتمثل وحسب بارتياد المساجد والكنائس واقامة الصلوة والصيام، فيمكن لمدع ان يقول باستقلال مسألة الدين عن المسائل الاخرى،

ولكن هذا لو صدق بشأن المسيحية فإنه لايصدق بشأن الاسلام) [1].

لابد ان نتنبه الى ان الثقافة الاسلامية ليست في مواجهة مع العلم، وانما يمكنها فيما لو وظفت بشكل صحيح ان تستوعب العلم المعاصر بشكل جيد، وتقوم بفرز الغث من السمين. ومما يعكس وجود جهل بحقيقة التحولات العالمية، هو ان ندعو للعلم بعين واذن مغلقتين دون الالتفات الى محدوديته، ونسعى عبر علومنا هذه الى تقديم وصفات جاهزة لكل شيء، كما ان ذلك يعبر عن ضعف في متابعتنا للتحولات التي طالت اسس العلوم الحديثة خلال العقود الاخيرة، وضمن الافكار التي يطرحها خبراء بارزون.

(١) المطهري، مرتضى. نظري به نظام اقتصادي اسلام (رؤية الى النظام الاقتصادي في الاسلام) طهران: انتشارات صدرا ١٩٨٩، ص١٥-١٦.

الفصل الثاني

العلم والدين في العالم المعاصر



العلم والدين: انماط العلاقة

ان ما يعادل مفردة (Science) الانجليزية هو ما نقصده من العلم هنا، أي المعرفة المنظمة التي تعبر عن خصوص ما يكتسب بالحس والاستقراء في مجال عالم الطبيعة وقوانينه وشؤون المجتمع (ينظر: معجم اكسفورد، المادة المذكورة) وهو ما يشمل العلوم الطبيعية والفيزيائية والعلوم الاجتماعية.

يعتقد العديد من العلماء ان العلم بهذا المفهوم معرفة حقيقية معقولة وذات طابع عالمي، تقوم على اثباتات الملاحظة والاستقراء، ويرون في مقابل ذلك ان الدين (religion) يمثل معرفة ذهنية شعورية تقوم على اساس التقليد. وتتحدد مواقف العلماء في الغالب حول اشكالية العلاقة بين العلم والدين، تبعا لما طرحه إيان باربور (Ian Barboru) في ذلك الشأن ضمن اتجاهات اربع[1] هي: التعارض، والاستقلال، والحوار، والوحدة، وسنعتمد للتيسير هذه المنهجية كإطار للتعريف بتلك الاتجاهات.

---

(1) Ian Barbour, Religion in an Age of Science (Harper San Francisco, 1990), Part 1.

١ـ التعارض

تعتقد فئتان بوجود تعارض بين العلم والدين هما: الماديون، واتجاه النصية (textualism) الدينية المتطرفة، وهما حين يقرران التعارض بين معطيات العلم والمعتقد الديني، يحاولان تقديم منهج معرفي يستند الى اساس متين، فالفئة الاولى تعتمد المنطق التجربي ومعطياته كمصدر للمعرفة، بينما تعول الفئة الثانية على ظواهر النص الديني التي تعدها قطعية، ونلاحظ ان كلا من هذين الاتجاهين يتجاهل حدود العلم وطبيعة موقعه.

تنطلق الفكرة المادية من العلم الحسي وتنتهي عند القضايا الفلسفية العامة، كما تنطلق النزعة الحرفية النصية المفرطة، من النص الديني لتقرر قضايا تتعلق بالموضوعات العلمية، ويرى الماديون ان المنهج العلمي يشكل المصدر الوحيد الذي يمكن الوثوق به في اكتساب المعارف، ويرون ان العلم وحده قادر على تقديم تفسيرات لمختلف الاشياء، ولايبقى في ضوء ذلك أي موقع للدين، ويقول واينبرغ: (في اعتقادي ان ذلك اكتشاف مهم، اننا قادرون على تحقيق تقدم ملحوظ في تفسير الكون دون الحاجة الى الدور الإلهي، سواء في علوم الاحياء او العلوم الفيزيائية)[1].

لقد اعتبر اولئك ان المادة هي الحقيقة الاساسية الوحيدة للعالم، وهم غالبا ما يعتمدون النزعة التحولية (Transformism)، أي تحويل سائر القوانين الى قوانين فيزيائية، وتحويل الكل الى جزء، او تحويل كل شيء الى مادة، وفي اعتقادهم انه يمكن اختزال كل شيء في عمليات تفاعل ميكانيكية، وطبقا لموناد فإن: (كل شيء قابل للتحويل الى تفاعلات ميكانيكية واضحة، ان الخلية لاتمثل

---

(1) S. Weinberg, Dreams of a Final Theory (London: Vintage, 1993), P. 198.

سوى ماكنة، وكذلك الحيوان والانسان)[1]، و(الصدفة هي منشأ لسائر الابداعات، ولكل مستويات الخلق في العالم)[2].

اما الاتجاه الديني المتطرف فهو يمنح الاصالة للنص الديني ويقوم بإقصاء العلم الذي يفترضه معارضاً للدين. كان ثمة جدل شديد في امريكا حول نظرية التطور الدارونية، وفي عام ١٩٨١صدر قانون في ولاية كنساس يفرض توفير فرص متساوية لتدريس نظرية التطور وفكرة الخلق الدينية، بيد أنه، وبعد عام من ذلك، بادر مصدر قضائي أعلى لإلغاء القانون المذكور معتبرة اياه مخالفاً لمبدإ الفصل بين الكنيسة والدولة.

٢ـ الاستقلال

يرى البعض ان العلم والدين يمثلان اتجاهين يستقل كل منهما عن الآخر تماماً ويمتلك مجاله الخاص ومنهجه المستقل واهدافه المحددة، وعلى حد تعبير البعض فإنّ كلا منهما يمتلك لغة خاصة، اذ أن:

ـ موضوع الدين هو الله بينما الطبيعة هي موضوع العلم.

ـ الوحي هو المصدر لمعرفة الله، لكن مصدر معرفة حقائق الطبيعة هو الحواس والعقل.

ـ يستهدف الدين تحقيق القرب الإلهي، بينما يحاول العلم استيعاب حقائق الكون.

ـ تتمثل لغة العلم بروح الفرضية والتخمين ومحاولة السيطرة على الطبيعة، لكن لغة الدين تتجلى في طقوس العبادة والخضوع.

---

(1) Ian Barbour, Religion and Science (San Francisco: Harper, 1997), P 80

(2) Ibid.

اذن ليس ثمة مبرر للتعارض بين العلم والدين، في ضوء استقلالهما على مستوى الهدف والموضوع او المنهج واللغة او في كل ذلك. يقرر بعض العلماء ان العلم يتكفل بالبحث حول الطبيعة بينما يتولى الدين مسائل الاخلاق، ويرى آخرون انهما يختلفان في طبيعة ما يطرحانه من اسئلة، فيلاحق العلم اسئلة من قبيل: ماذا وكيف، غير ان الدين يسأل بـ(لماذا) . ويشكّل المؤمنون بالله معظم مؤيدي هذا الاتجاه، والعديد منهم يلتزم بالتعاليم الدينية، غير ان طبيعة فهمهم للعلاقة بين العلم والدين هي بالنحو الذي يبدو فيه الدين وكأنه يشغل مساحة من عقولهم، غير تلك المساحة التي يحتلها العلم في جانب آخر، وحينئذ فهم لايرون بأسا في ان تتعارض علومهم مع معتقدهم الديني، او انهم لايريدون ان يعبأوا بذلك.

٣ـ الحوار و(التفاعل)

يعتقد هذا الاتجاه ان ثمة مجالات مشتركة للحوار بين العلم والدين، وأن بإمكان كل منهما ان يفيد من تجارب الآخر، حيث ان العلم مثلا يطرح تساؤلات حول بداية نشوء الكون وكيفية نهاية العالم، غير انه عاجز عن الاجابة عليها وهو ما يمكن للإلهيات ان تضطلع به، وتساؤلات علم الفلك حول مبدإ الكون ومنتهاه هي من هذا القبيل. كما ان من يؤمن بالله يمكنه تقرير أن الله هو الذي يمنح النظام للكون، ويعتبر يوحنا بولس الثاني البابا الحالي للكنيسة، ان التواصل والحوار بين العلم والدين امر ضروري في الاداء السليم الذي يقدمه كل منهما، وبدون هذا التواصل يتحول العلم الى اداة تدميرية، ويصبح الدين حقائق عقيمة، ويدعو في ضوء هذا الى ان يلاحظ كل من العلم والدين معطيات الآخر بطريقة موضوعية فيقول: (يمكن للعلم ان يحول دون خطأ الدين وانحرافه، ويستطيع الدين بدوره ان يحذر العلم من الوثنية والطابع التعميمي الذي ينطوي على اخطاء اساسية، ويمكن لكل منهما ان يفتح امام الآخر آفاقاً

جديدة، تتوفر فيها فرص لازدهارهما)[1]، غير ان هذا الاتجاه يعتقد ان على العلم والدين ان يتمسكا بمنهجيهما في اطار الحوار والتواصل، كما يرى آخرون ان بين العلم والدين تفاعلاً على مستوى المنهج، فالعلم لايقوم على البراهين فقط، كما ان الدين ليس خاضعاً بشكل كامل للمصادر الدينية، اضافة الى ان مؤرخي العلم ذكروا ان تأثر العلم بالتقاليد الاجتماعية ليس بأقل من تأثر اللاهوت بذلك، كما لايخفى تأثير الأطر الدينية في العلم، ولا يقتصر طرح قضية الايمان في اطار الدين وحده بل ان لهذه القضية موقعها الخاص في العلم كذلك (أي الايمان بوجود عالم خارجي ذي نظام قابل للاكتشاف)، وعلى هذا الاساس يقول بلانك: (كتبوا على مدخل بلاط العلم: (عليكم ان تتحلوا بالإيمان). ولايمكن للعلماء ان يتجاهلوا هذه الخصوصية)[2].

يساهم التفاعل بين الدين والعلم في الحيلولة دون وقوع حالات الافراط او التفريط في كل منهما، اذ يتولى ذلك تحذير المتدينين من التعامل الساذج مع النصوص الدينية، وينبه العلماء التجريبيين لئلا يتورطوا في نزعات التعميم والاطلاق او الوثنية. يعتقد بعض اللاهوتيين النصارى مثل بانبرغ (Wolfhart Pannenberg) ان الرؤية العلمية ازاء الكون تظل عبارة عن ملاحظات ناقصة، وان ادراك المظاهر الكونية دون الاستعانة بالوحي امر غير ممكن[3].

---

(1) Bobert J. Russell, William Stoeger and George Coyne, Physics, Philosophy and Theology (Vatican City State: Vatican Observatory, 1988), P. M11-12

(2) M Planck, Where is Science Ging?, trans. By J. Murphy (New York: Norton, 1932), P. 214.

(3) M.W. Worthing, God, Creation and Contemporary Physics (Minneapolis: 1996), PP. 31-32.

٤ ـ الوحدة

ان دعاة قيام الوحدة بين العلم والدين يعتقدون ان لكل من العلم والدين مزاعم وجودية ومعرفة بحقائق الميتافيزيقيا، الا اننا لن نرتضي طرق التفكير التي لايتوفر بينها انسجام كافٍ، حتى لو كانت تدور حول عالم يمتلك انسجاما ذاتيا، واذا شئنا تقديم تفسير مناسب يوفر حجم الانسجام الذي نطمح اليه، لسائر تجاربنا فينبغي ان نحاول تكوين رؤية موحدة حول العالم، أي ان نعالج الحياة لابصورة انساق منفصلة وانما على هيئة كل متوحد. ان كلا من العلم والدين (او الإلهيات بعبارة أدق) هو في صدد تكوين تصور او تفسير للعالم، على الرغم مما يلي:

ـ يهدف العلم الى اكتشاف النظام الطبيعي، وهو يبينه على شكل قوانين علمية.

ـ يتمثل هدف الدين بتحديد مفهوم العالم وبيان غايته وبلورة موقعنا في ذلك الاطار.

ويوفر الدين في حقيقة الامر اساساً ميتافيزيقياً للعلم، وهو يبرر العقيدة القائلة بأن العلم محصلة حقيقية بثقة العقل الانساني، وعلى حد تعبير هنري مارغنو: (يظل العلم بحاجة الى الدين، في تبرير مصدره وانجازاته)[1]، ويقول آرثر شارلو (الفيزيائي الحائز على جائزة نوبل): (يمثل الدين اساسا مهما للنشاط العلمي، وكما جاء في المزمار التاسع عشر [من مزامير بني‌اسرائيل]... تنبئ السموات عن عظمة الرب وروعة خلقه. لذلك فإن البحث العلمي نوع من العبادة، لأنه يكتشف المزيد من اسرار ذلك الخلق)[2].

---

(1) Henry Margeneau and Roy A. Varghese, eds., Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992) P. 62.

(2) Ibid., P. 106.

يوفر العلم صورة منسجمة ومتماسكة عن عالم الطبيعة، غير أنه يطرح في المقابل اسئلة خارج النطاق الذي يتمكن من الحركة في اطاره، والوحيد الذي يمكنه معالجة تلك الاسئلة هو الدين، وكما يقول آرثر شارلو: (يجب ان تبحث الاسئلة ذات العلاقة بمبدأ الوجود، في اطار امكانيات العلم، غير ان الاجابات لن تكون نهائية ابداً، وعلينا ان نطرح الاسئلة العميقة في نهاية الأمر على الدين)[١].

يقول شارلز تاونز (الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء): (اعتقد انه طالما سار البحث بطريقة علمية محضة، فإن السؤال حول مبدإ الوجود سيظل دون اجابة، وعلى هذا الاساس اتصور اننا بحاجة الى تفسيرات دينية او ميتافيزيقية، اذا كان لابد لنا من الحصول على تفسيرات)[٢].

يصبح كل من العلم والالهيات في اطار هذه الرؤية محاولة كبيرة لفهم الكون ولادراك ذواتنا، ومع ان لكل من الاتجاهين افقه الخاص، غير ان الجانب المشترك بينهما يتمثل في اهداف واسعة. يشكل العلم محاولة لاكتشاف النظام الكوني، بينما يسعى الدين لاستيعاب المعنى او المضمون الكوني، ويستهدف كلاهما تحديد طبيعة العلاقة بين الابعاد المتنوعة للكون، وفيما لو نحجا في ذلك فإنه ينبغي ان يتوحدا في النهاية.

يرى البعض ان العلم والالهيات يمثلان تفسيرات متنوعة بأساليب وغايات مختلفة، حول اشياء واحدة، فوظيفة العلم هي تحديد علل الظواهر، بينما يبرز دور الدين في اكتشاف ما تنطوي عليه تلك الظواهر من مضامين، ولا حاجة لأي واحد منهما بالآخر غير اننا نحن بحاجة اليهما معاً للحصول على فهم متكامل، من قبيل الخرائط المتنوعة التي يعدها المعمار لمبنى معين، فتتكفل واحدة

---

(1) Ibid.

(2) Ibid., P. 123.

تحديد هيكل طوابقه، واخرى تقديم صورة لهيكل المبنى ذاته والمنافذ المخصصة لمرور الأسلاك وانابيب المياه. اذ يطرح هنا موضوع واحد غير ان وصفه وتحديده يختلف حسب انواع المفاهيم التي نستخدمها، ويمتلك العلم والدين مجموعتين من المفاهيم المختلفة ولذلك فهما يقدمان رؤيتين مختلفتين، والمنشأ في ذلك التعارض الذي يبدو بينهما هو ان الطبيعة الحقيقية للعالم لم تحظ بقدر كاف من الاهتمام.

لقد ادى النجاح الذي حققه العلم في القرون الاخيرة الى حصول وثوق كبير بصدق معطياته وعموميتها، الامر الذي مهد لشيوع الاعتقاد بأننا ستتمكن ومع مرور الزمن من تفسير جميع الاشياء بواسطة العلم، غير ان القرن الاخير شهد جدلا واسعا راح يطال العديد من الأسس الفلسفية والنظرية للعلم، ويتعامل العلماء اليوم بحذر مع تعميم النتائج العلمية الى المستويات التي لم تتعرض للاختبار.

هل العلم متعارض مع الدين؟

ثمة جوانب يبدو فيها العلم متعارضاً مع الدين، مع انه في الواقع ليس كذلك:

١ـ دور الايمان:

ان اهمية الايمان جلية تماماً في الاطار الديني، بل انها تعتبر من الخصائص الدينية، الا ان الايمان ضروري للعلم ايضا اذ يجب على العلماء ان يؤمنوا بوجود نظام في الكون وبقابلية هذا النظام على ان يدرك، ولا يعقل بدون هذا الايمان ان تتم محاولة لفهم عالم يستعصي على الادراك.

٢ـ دور الالهام:

يستند الجانب الثاني في دائرة التعارض بين العلم والدين على تباين منهجي الاكتشاف فيهما، ويرى العامة ان الحقائق الدينية غالباً ما يكون مصدرها الوحي، بينما تمثل التجارب والاستنتاجات المنطقية مصدرا لحقائق العلم. غير ان اكثر الاكتشافات لم تتم عبر الآليات العلمية المألوفة، وانما تمت عبر ما يعرف بالشهود او الالهام، الذي يعده بعض الفلاسفة واحداً من مستويات الوحي الواطئة. لقد ذكر بوانكاريه في كتابه (فهم العلم) انه توصل الى قضايا مهمة في لحظات فراغه، حين كان ذهنه خاليا تماما منها.

٣ـ دور الإثبات:

الاختلاف البارز الآخر الذي يطرح عادة هو ان العلم يقوم بإثبات حقائقه خلافاً للدين الذي لايقوم بذلك، غير ان الحقيقة هي ان الطبيعة والاتجاه الرياضي الواقعي يختلف عن الفرضيات التي تقدم في الغالب، حيث نفرض في الاستدلال الرياضي أسسا نعتقد انها تنسجم مع بعضها، ولكن: ما هو الضمان لانسجام تلك الأسس؟

نلاحظ في المنطق الرياضي ان مسألة غودل[١] دللت على ان من غير الممكن ضمان الانسجام بين مجموعة من الأسس، دون اللجوء الى اطار اوسع من الانسجام، وحينئذ سننقل الكلام ذاته الى ذلك الاطار ايضاً.

---

(١) وهي ملاحظة اثارها كورت غودل تقرر أن النظم المعقدة التي تشتمل على اعداد صحيحة، تنطوي دائماً على قضايا ومقدمات لايمكن البت في صحتها او خطئها داخل تلك النظم نفسها.

٤ـ القابلية على الإختبار:

يقال ان في العلم فرضيات يمكن ابطالها عبر الاختبار التجريبي، الا ان هذا غير ممكن في مجال الدين، لكننا نلاحظ أولاً: ان توفير المؤيدات التجريبية في العلم ليس بهذا القدر من السهولة، وثانيا: ان قسماً من الحقائق الدينية قد تعرض للاختبار بواسطة التجارب الشخصية، غير أن التفاوت الكمي في القابلية على الاختبار ادى الى إخفاء مجالات الشبه بين العلم والدين في هذا الجانب. ثمة اشكاليات عديدة تطرح على الدين احياناً، غير ان العلم ايضا يواجه مشاكل مشابهة ولكننا مع ذلك لا نفقد ايماننا بالعلم، بل نصف فهمنا بالمحدودية، ويمكن ان نقرر بإيجاز ان العلم والدين يمثلان آليتين لادراك الكون، ويجب ان يلتقيا في نهاية الأمر.

قال الفرد نورث هوايتهد، الفيلسوف الشهير المعاصر، قبل ستين عاماً: ان مسارات المستقبل الانساني منوطة بطبيعة العلاقة بين العلم والدين و(عندما ننتبه الى ماهية دور الدين في حياة الإنسان ونحدد مفهوم العلم، فلا غرو في قولنا ان مسارات مستقبل التاريخ منوطة بما سيقرره هذا الجيل ازاء العلاقة بين الدين والعلم. ونمتلك هنا اثنتين من اعظم القوى... التي تؤثر على الانسان، واللتين تبدوان متعارضتين، انهما: الشهود الديني، والدافع الذي يتملكنا ويحفزنا على الملاحظة الدقيقة والاستنتاج المنطقي)[1].

في الاسلام لا يقع الدين بموازاة العلم، بل ان العلم يقع في مرتبة تالية للدين الذي ينطوي على دعوة للتفكير والبحث التجريبي والاختبار واكتشاف الطبيعة، وينتفي على هذا الاساس ما يتصور من تعارض بين الدين والعلم، وانما

---

(1) Alfred North Whitehead, Science and the Modern World (New York: The Free Press, 1925), PP. 181-82.

ينشأ التعارض الذي كان يطرح سابقاً او يلاحظ حالياً في بعض الاحيان، عن تجاهل الحدود العلمية من قبل العلماء أو التدخل غير الموضوعي من قبل المتدينين في القضايا التي لايمتلكون فيها صلاحية ابداء الرأي، وقد كان بعض علماء الغرب يتبنون ذات وجهة النظر هذه، وعلى سبيل المثال يقول شارلز تاونز (الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء): (انني لا ارى انفصالاً بين العلم والدين، بل اعتقد ان البحوث العلمية في مجال الكون جزء من التجربة الدينية)[1].

احياء النزعة الدينية في الغرب

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين، تعرض الدين الى الإقصاء والإهمال في الاوساط العلمية، بل ان العلماء المتدينين كانوا يحذورن من الجهر بتدينهم، بينما شهدت العقود الاخيرة وبشكل متواصل اقبالاً من العلماء والمتخصصين في العلوم الحديثة على الدين والشؤون الروحية واصبح من الأيسر عليهم ان يجهروا بالحديث عن قضايا الدين، ويمكن ان تذكر عدة عوامل لهذه الظاهرة:

أ ـ لقد بات جلياً أن العلم المجرد عن الاخلاق والذي يهمل الجوانب الروحية، راح يخاطر بحياة الانسان، كما ان القطيعة بين العلم من جهة والدين والفلسفة من جهة اخرى ادت الى خلق فجوة بين العلوم التقنية والاولويات التي تحكم مسارات توظيفها واستخدامها، وقد اتضح ان العلم اداة للقوة والسلطة التقنية، الا ان السيطرة على الآلة دون ضوابط يعد امرا خطيرا، ولايمكن للعلم بذاته ان يحدد تلك الضوابط والغايات، ولذلك فإن بعض الاتجاهات الفلسفية

(1) T.D. Singh and Ravi Gomatam, eds., Synthesis Of Science and Religion (Bombay: The Bhaktivedanta Institute, 1987), P. 141.

الرائجة مارست توجيه المسارات التطبيقية للعلوم.

ب ـ دلل التطور العلمي في هذا القرن على عدم امكان اختزال المعرفة العلمية في مقولات ميكانيكية، ويقول ويلكنز (Wilkins) الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٦٢، في محاضرة القاها عام ١٩٨٦: (لا اتفق مع علماء الاحياء الجزيئية، في اعتقادهم بإمكانية تفسير جميع ابعاد الحياة طبقا لمعطيات هذا الفرع العلمي، وارى في هذا الفهم الميكانيكي لونا ساذجا من التفكير)[1].

ج ـ ادرك العديد من العلماء، الحدود التي يتحرك العلم في اطارها وهو في صدد بلورة سائر جوانب الطبيعة، واعتقد البعض ان الرياضيات والفيزياء لاتمثل المنهج الوحيد في اكتشاف الحقائق الطبيعية، فالفنان والفيلسوف وعالم اللاهوت والشاعر... كلهم، يقدمون لنا تفسيرات حول الطبيعة، وراح يردد آخرون ان الآلة لاتحدد وظيفة علوم الحياة وعلم النفس والاخلاق، لأن الانسان اوسع من نطاق مكوناته المادية.

د ـ يعتقد العديد من مشاهير العلماء في عصرنا، أن الاشياء التي يمكن للعلم ان يقدم ايضاحات إزاءها تمثل دائرة محدودة، فهو عاجز عن تقديم اجابات كافية لبعض اسئلتنا الاساسية رغم معقوليتها. يستهدف العلم تحديد العلاقات بين ظواهر الطبيعة، وتوصيف تلك العلاقات، وهو يخفق في تقديم شيء يذكر حول الوجود، او طبيعة المعرفة الانسانية، او ان يتحدث حول العلل النهائية او العليا للاشياء، كما انه يعجز عن تحديد سبب ظهور الاشياء بالنحو الذي نراها عليه، ولايمكنه حسم مسألة: هل للحياة غاية ام لا، وعلى حد تعبير كوش(P.Kush) الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء: (يعجز العلم عن القيام بالكثير من المهام،

(1) Ibid., p. 33.

وان الفرضية التي تؤكد قدرة العلم على تأمين اجابات تقنية حيال جميع الاسئلة، تمثل رؤية سيثبت بطلانها آخر الأمر) [1].

وكتب احد العلماء البريطانيين اخيراً في مقال له بمجلة (New Scientist) : (يقول البعض ان العلم عاجز عن توفير اجابات لبعض الاسئلة، لذلك فإن الاسئلة تلك هي عبارات جوفاء خالية من المضمون. غير اني اعتقد ان هذه الاسئلة تنطوي على مضامين غنية، ويرتبط ذلك بالكيفية التي نفسر فيها قضايانا الحياتية، وهذا بالضبط هو الموطن الذي نلجأ فيه الى الإله)[2].

هـ ـ يحاول رجال الدين المسيح ان يطلعوا بشكل كافٍ على العلوم الحديثة لأجل بحث المجالات المشتركة بين العلم والدين، ويوصي البابا الاعظم في احدى كلماته بأن (يتوفر فريق من علماء اللاهوت على اتقان العلوم الحديثة كي يتمكنوا من التوظيف الخلاق والصحيح لمعطيات النظريات السائدة، ولتجنب الافادة العاجلة غير النقدية، منها)[3]، ومن اجل ذلك فقد نظمت في الغرب خلال الاعوام الأخيرة العديد من المؤتمرات حول الإلهيات والعلم، شارك فيها اخصائيو العلوم التجربية والفلاسفة ورجال الدين النصارى.

و ـ رغم انه لاشك في اهمية الامكانيات التي يضعها العلم بين ايدينا، الا ان ثمة جدلاً شديداً بين علماء الغرب حول نقل اطار القداسة من الدين الى العلم واستبداله به.

---

(1) S. Jaki, The Relevance of Physics (Edinburg: Scottish Academic Press,1992).p. 500.

(2) New Scientist, 10 Aug., 199, p. 64.

(3) RJ. Russell, W. Stoeger and G. Coyne, op.cit, p. Mil-12.

نماذج من التحول الى الدين في الغرب

نلاحظ حالياً ان الغرب يشهد ظهور نماذج ملفتة للنظر من النزوع الى الدين، رغم ان هذا التحول لم يأخذ موقعه المناسب في وسائل الاعلام لدينا، ونذكر هنا بعض الامثلة على ذلك:

أ ـ اضحى من المفيد ان تتضمن عناوين المؤلفات العلمية التي يقدمها علماء الفيزياء والفلك اليوم، اسم الله تعالى، حتى اذا لم يكن محتوى الكتاب ذا علاقة بالمفهوم السائد للإله، لذلك فقد ظهرت عناوين من قبيل (The mind of God) و (God and the new physics) وغيرها، والسبب في ذلك هو الإقبال الشديد الذي يبديه القارئ على هذه العناوين، حيث ان العديد من الاشخاص يطمحون الى معالجة التعارض القائم بين معتقدهم الديني وانطباعاتهم العلمية، وقد كانوا يتصورون كما قيل لهم، ان عليهم ان يختاروا واحداً من هذين الاتجاهين فقط، وهو مادعا بعض العلماء الى استغلال تلك الرغبة بشكل شيء، وقد طرح في امريكا قبل عدة اعوام مشروع لصناعة جهاز ضخم مزود بسرعة عالية لاكتشاف بعض اجزاء الذرة، على اساس ان الجهاز هذا سيتمكن من تحديد الاجزاء التي خمنتها بعض نظريات الفيزياء، وكانت كلفة المشروع قد قدرت بـ ١٣ مليار دولار، فبادر ليون ليدرمان (Leon Leaderman) وهو احد علماء الفيزياء الامريكان، بتأليف كتاب اختار له عنوان (The God Particle) [الأله الذرة] حيث سعى الى ان يوحي عبر ذلك لدافعي الضرائب في امريكا بأن اكتشاف الجسيمات المذكورة سيمثل سبيلا الى الله.

ب ـ في يوليو (تموز) عام ١٩٨٦ نظم بالهند المؤتمر العالمي للتوفيق بين العلم والدين، شارك فيه اكثر من ١١٠٠ شخصية من علماء الفيزياء والكيمياء والاحياء اضافة الى الفلاسفة وعلماء اللاهوت ..الخ من كافة انحاء العالم.

ج ـ افتتحت جامعة كمبريدج منذ عدة اعوام قسماً لقضايا العلم واللاهوت،

وفي عام ١٩٩٨ حصلت جامعة اكسفورد على مليون ومائة الف جنيه لتأسيس كرسي لشؤون العلم والدين، كما اطلقت جامعة ليدز في بريطانيا اول مركز شبه تخصصي للبحث حول طبيعة العلاقة بين العلم والدين، ومنذ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٨ افتتحت الجامعة ذاتها قسماً للدراسات العليا في هذا المجال، كما بادرت جامعة بوسطن بأمريكا الى افتتاح قسم مشابه في مجال العلم والدين والفلسفة[1].

د ـ تشهد اوربا وامريكا بشكل متزايد، ولاسيما في العقود الاخيرة، تأسيس المؤسسات والمراكز البحثية التي تتولى معالجة اشكالية العلاقة بين العلم والدين (وقد ذكرنا في جدول ملحق بهذا الفصل نماذج منها)، كما افتتحت اقسام في المجال ذاته خلال الاعوام الاخيرة في عدد كبير من جامعات اوربا وامريكا، ويمثل ذلك حسب مجلة (New Scientist) اكثر الاقسام العلمية تناميا في الجامعات تلك[2].

هـ ـ افتتحت الجمعية الامريكية للعلوم السياسية (American Political Science Associaton) قبل اكثر من عشرة اعوام قسم الدين والسياسة وادرجته ضمن مجالاتها البحثية، وهي تقدم جائزة سنوية لأفضل كتاب يقدم في هذا المجال[3].

و ـ ذكرت مجلة التايم (Time) الامريكية في عددها الصادر بتاريخ السابع من ابريل (نيسان) ١٩٨٠، ان هنالك ثورة صامتة تطال مناهج التفكير، وان الله آخذ في العودة، وهذا ما يصدق بشكل خاص في اوساط الفلاسفة الأكاديميين، وفي هذا السياق نشرت مجلة News week في عددها الصادر بتاريخ ٢٠ يونيو

---

(1) Science & Spirit, Vol. 9, No. 2, P. 17.

(2) New Soientist, op.cit, p 46.

(3) Thelogy Today, July 1996, p.268.

(حزيران) ١٩٩٨، مقالا حمل عنوان «العلم يكتشف الله».

ز ـ تأسس في الآونة الاخيرة مجمع الفلاسفة النصارى، وهم ينظمون اجتماعات وملتقيات تكتظ بهم كل ثلاثة اعوام.

ح ـ قبل فترة وجيزة نظمت مجلة Nature استفتاءً للرأي شمل ألفاً من العلماء، ومن بين ستمائة عالم شاركوا في الاستفتاء كان ٤٠٪ يقرون بإيمانهم بالله، وشكل علماء الفيزياء النسبة الأقل بين المؤمنين، بينما تمثلت النسبة العليا من المؤمنين بعلماء الرياضيات[1]. مع ان استفتاء مشابها نظم عام ١٩١٦ جعل الكثيرين يتوقعون ان عدد الملحدين سيتزايد مع تسارع التطور العلمي غير أن التوقعات تلك لم تكن مصيبة، بل ان كاتب السطور تحدث في احد المؤتمرات الدولية مع عدد من العلماء والفلاسفة الامريكان حول استفتاء مجلة (Nature) فأعربوا عن اعتقادهم بأن اعداد المؤمنين اكبر بكثير من الارقام المذكورة.

ط ـ بمناسبة اليوم العالمي للشباب الكاثوليك، انعقد قبل ثلاثة اعوام تجمع كبير حضره البابا في باريس، وحضر مراسم الصلاة خلال ذلك اكثر من مليون شخص[2]، وكان قد شارك في ذلك التجمع شباب كاثوليك من حوالي ١٤٠ بلداً بينهم ٢٠٠ ـ ٣٠٠ الف اجنبي وحوالي ٧٥٠ ألف شخص من فرنسا.

ي ـ في حقبة سابقة كان يعد من الشاذ والمستهجن أن يتحدث عن الله في الاوساط العلمية (الجامعات، المؤسسات، المجلات...) اما الآن فقد اختلفت الحال، وقبل مدة وجيزة الف الدكتور بل ديفس كتاباً حمل عنوان (العقل الإلهي) ذكر فيه انه عندما أصدر كتاب (الله والفيزياء الجديدة) تلقى العديد من

---

(1) Nature, 386, 3 April 1977, p. 435.

(٢) صحيفة جمهوري اسلامي، الاربعاء ١٩٩٧/٨/٢٦، ص ١٦.

الرسائل التي بعثها علماء فيزياء مؤمنون، بالدرجة التي فاجأه فيها وجود ذلك العدد من المؤمنين بين المتخصصين في ذلك الفرع، وذكرت تلك الرسائل ان اولئك لم يكونوا يخوضون في هذا الموضوع، حذراً من اتهامهم بالشذوذ عن المسار العام ولكنهم حينما رأوا الاجواء اصبحت مناسبة اكثر فإنهم خرقوا حالة الصمت.

يمكن القول بعبارة موجزة انه وخلال العقدين الاخيرين، ظهرت في الغرب محاولات عديدة للتقريب بين العلم والدين، وقد صدرت اعمال علمية قيمة حول هذا الموضوع في البلدان تلك.

النتيجة

لاحظنا في الفصل الماضي ان العلم والدين كانا معاً في بداية الامر، سواء في العالم الاسلامي او الغربي، ولم يكن يلمح أي تعارض بينهما، كما اعتقد المتخصصون في العلوم الطبيعية في هذين العالمين ان البحث العلمي جزء من الممارسة العبادية. وقد ساهم ظهور الاتجاه غير العقلي في بلاد الاسلام، الى جانب وصول عناصر مستبدة ومتعصبة الى السلطة، في انزواء العلوم العقلية بشكل عام وعلوم الطبيعة والرياضيات بشكل خاص. كما ادى ظهور تيارات الفلسفة التجريبية في العالم المسيحي اضافة الى نجاح العلم الملفت للنظر في وصف وتفسير الظواهر المختلفة، الى ابعاد الانسان الغربي عن الدين الأمر الذي جعله يعول على ذاته وحسب.

وهكذا اخذ العلم الموقع التقليدي للدين واصبح يعد حلاً سحرياً للمشاكل، راح يطمح الى تفسير جميع ابعاد الطبيعة دون استعانة بالسماء، بينما تشكل بفعل ذلك جو إلحادي او لاديني او ان الاجواء هي التي اكتسبت هذه الصبغة بشكل كامل، مما لايزال سائداً وثمة حتى اليوم اشخاص نظير ريتشارد داوكنز

(Richard Dawkins) يصفون الدين بأنه يشبه فايروس الكومبيوتر[1]. كما ان هناك فلاسفة يعارضون حتى الآن افتتاح اقسام الدين في الجامعات[2]، لأن مصدر تمويل الجامعات هو الضرائب التي يدفعها المواطنون، والحديث عن الدين ينبغي ان يتم في فروع الفلسفة وحسب، وبشكل ثانوي او ان يدرس الدين كظاهرة اجتماعية.

يمثل تحصيل العلم في الاسلام، بطابعه الشمولي، جزءا من حياة الانسان ويعد التأمل في الآيات الالهية نوعا من العبادة، لذلك فإن طرح مسألة التعارض بين العلم والدين وتباينهما هو حالة عارضة ادى اليها ما نتعرض له من مباغتة ثقافية في القرنين او القرون الثلاثة الأخيرة، ويبدو الظرف مناسبا الآن لنستعيد رؤية الاسلام تلك ونبادر الى تصحيح الافكار ذات الرؤية غير الاسلامية، في مؤسساتنا ومحافلنا الثقافية.

---

(1) Russell Stannard, Science and Wonders (London: Faber and Faber, 1996), pp. 161-63.

(2) M. Mahner and Mario Bunge, (Is Religious Education Compatible With Science Education) in Science & Education, Vol . 5, No. 2, April 1996, p. 120.

بعض المؤسسات والمراكز التي تتمحور جهودها البحثية حول دائرتي العلم والدين

البلد	المؤسسة	سنة التأسيس
الولايـــات المتحدة	Institute for Theological Encounter Science and Technology	١٩٦٨
بريطانيا	Sciencu and Religion Forum	١٩٧٢
الولايـــات المتحدة	The Society of Vhristian Philosophers	١٩٧٨
الولايـــات المتحدة	Center for Theology and the Natural Sciences	١٩٨١
بريطانيا	The Society of Ordained Sciention	١٩٨٥
الولايـــات المتحدة	The John Templeton Foundation	١٩٨٧
الولايـــات المتحدة	The Chicago Center Fir Religion And Science	١٩٨٨
كندا	The Pascal Center for Advanced Studies In Faith and Science	١٩٨٨
السويد	The European Society for the Study Of Science and Theology	١٩٩٠
الولايـــات المتحدة	Georhetown Center for the Study of Science and Religion	١٩٩٦





الفصل الثالث

الاسلام وعلوم الطبيعة

مكانة العلوم الطبيعية في الفكر الاسلامي

ثمة ابحاث مسهبة لكبار العلماء المسلمين حول مفهوم العلم في الاسلام، فقد اعتبره بعض مقتصراً على العلوم الدينية بمعناها الخاص والضيق، بينما عده آخرون مفهوما عاماً جداً، فصدر الدين الشيرازي[1] يعتبر مفهوم العلم تشكيكيا بمعنى ان مصاديقه تتباين في شدتها وضعفها، رغم ان مفهوم العلم يستوعبها جميعاً.

يتمثل معيار العلم المطلوب اسلامياً، في كونه مفيداً ويكمن معيار الفائدة في الهداية الى الله والتأدية الى رضوانه، ولافرق على هذا المستوى بين العلوم الدينية الخاصة وعلوم الطبيعة، ويمكن ان نحدد سعة مفهوم العلم في الاسلام من الاحاديث الشريفة نظير: (اطلبوا العلم ولو في الصين)[2]، (العلم ضالة المؤمن، فخذوه ولو في ايدي المشركين)[3].

---

(١) صدرالدين الشيرازي (ت ١٥٠ هـ) فيلسوف امامي ولد بشيراز وتوفي بالبصرة، جمع بين الفلسفة والدين والعرفان من مؤلفاته (الحكمة المتعالية) المعروف بالاسفار الاربعة(ع).

(٢) المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، ج ١. بيروت : دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣ هـ ص ١٠٨.

(٣) ابن عبدالبر، جامع بيان العلم وفضله، ج ١بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٥ هـ ص ١٢٢.

ومـن البديهـي ان هـذه الاخـبار لـم تلاحـظ خصـوص المعـارف الدينـية المحددة، اذ لاشك في ان الرسول(ص) لم يكن ينتظر ان نجد العلوم الدينية في الصين.

يقول سيد قطب في تفسير الآية الكريمة (ولقد آتينا داود وسليمان علماً) النمل١٥: (ولايذكر هنا نوع العلم وموضوعه لان جنس العلم هو المقصود بالابراز والاظهار. وللايحاء بأن العلم كله هبة من الله، وبأن اللائق بكل ذي علم ان يعرف مصدره، وان يتوجه الى الله بالحمد عليه، وان ينفقه فيما يرضي الله الذي انعم به واعطاه. فلا يكون العلم مبعداً لصاحبه عن الله، ولامنسياً له إياه، وهو بعض منه وعطاياه! والعلم الذي يبعد القلب عن ربه علم فاسد، زائغ عن مصدره وعن هدفه لايثمر سعادة لصاحبه ولا للناس، إنما يثمر الشقاء والخوف والقلق والدمار، لأنه انقطع عن مصدره، وانحرف عن وجهته، وضل طريقه الى الله...)[1].

وورد في رسائل اخوان الصفا: (واعلم يا اخي، بان كل علم او أدب لايؤدي صاحبه الى طلب الآخرة ، و لا يعينيه على الوصول اليها، فهو و بال على صاحبه، حجة عليه يوم القيامة.)[2]، وهكذا نلاحظ ان العلم ينبغي ان يمثل مصداقا لقول علي(ع): (ثمرة العلم العبادة)[3].

لقد حمل كبار علماء المسلمين هذه الرؤية في قرون الهجرة الاولى، وعلى

---

(١) قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٦ بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٣٨٦ هـ ص٦٣-٢٦.

(٢) رسائل اخوان الصفا و خلاّن الوفاء، ج ١، قم، مكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٥ ص ٣٤٩.

(٣) التميمي، عبدالواحد الامدي، غرر الحكم و درر الكلم، تصحيح سيد مهدي رجائي. قم: دارالكتاب الاسلامي، ١٤١٠ هـ ص ٣٢٦.

اساس من ذلك قاموا بنقل العلوم والمعارف من الامم الاخرى واستوعبوها بشكل عميق ثم اضافوا عليها. وكانت الابحاث الطبيعية حتى قبل ظهور العلم الحديث تنطوي على الجوانب الميتافيزيقية اضافة الى بعدها الحسي والتجربي، وكانت فروع المعرفة المختلفة كتفرعات شجرة يتمثل جذرها بالميتافيزيقيا.

وتحوز كل المصادر والحقول العلمية اهمية واضحة في الاسلام وبينما يشكل الوحي عبر الانبياء مصدراً لجزء من معارفنا فإن المناهج الاخرى كالملاحظة والتجربة والتأمل العقلي والشهود الروحي هي مصادر اخرى للمعرفة، سواء منها العلم الواصل عن طريق الوحي او العلم المكتسب بالادوات الحسية والعقلية، فيستوعب هذا الاصطلاح [أي العلم] وحده كل اجزاء الطيف المتنوع للمعرفة.

ليس هناك في منطق الاسلام علم او حقل معرفي مرفوض لذاته، وانما ترفض بعض الوان المعرفة لعوامل طارئة عليها، وبعبارة اخرى فان بعض العلوم تعد مرفوضة او غير ذات جدوى على المستوى التطبيقي اذا ما كانت مثلا تشكل اداة للفساد والدمار في معظم توظيفاتها، كما انه يمكن اعتبار سائر العلوم التي تنطوي على منافع وفوائد معتد بها، معارف دينية، ولا يستند بالطبع تقسيم العلوم والمعارف الى دينية و غير دينية على اساس سليم.

امتلك علماء المسلمين في ضوء ذلك وخلال عصر الازدهار الحضاري، رؤية موحدة شمولية ازاء مختلف اقسام المعرفة، و كانوا يعدون الفروع العلمية امتدادا للبحث الديني، حيث اعتقدوا ان تلك العلوم تعين على اكتشاف الآيات الالهية في الآفاق والانفس وان كلا منها يعكس جانباً من الخلق الالهي، وهو ما دعا المسلمين للانصراف الى دراسة علوم الطبيعة والرياضيات وملاحظتها كفروع تتمتع بوحدة عضوية فيما بينها رغم ما تشهده من تنوع في اقسامها.

مثلت فكرة توحيد الخالق وعنصر الانسجام في الكون اساساً سيطر على

العلوم والفنون الاسلامية، ونلاحظ ان الفن الاسلامي كان يستهدف التدليل على رجوع الكثرة الى الوحدة، وتحاول علوم المسلمين ايضاح وحدة التدبير الالهي للكون، وفي اطار هذه الرؤية لم يكن العلماء والمفكرون المسلمون يعدون العلم منفصلا عن الدين، وكانوا في صدد تأسيس مشاريع توفر الامكانية لاكتشاف العالم ولذلك فهم لم يحاولوا الحصول على نتائج متسرعة بل راحوا يهتمون كذلك بالعلوم التي لم تكن تترتب عليها معطيات مادية و عملية في ذلك العصر، وتمثل رحلة البيروني الى الهند وما اعده من ابحاث حول ثقافة تلك البلاد وحضارتها، نموذجاً جيداً لهذه الحقيقة.

استخدم القرآن مصطلح العلم ازاء كل من علوم الطبيعة والعلوم الانسانية وقد حفل بالترغيب والحث على دراسة ظواهر الطبيعة، لكنها لم تكن مع ذلك مقصودة لذاتها وانما لما تؤدي اليه من الاحاطة بآثار الله في الكون واعمار الارض والافادة من ثرواتها. وفي حقيقة الامر ان كل الاشياء قد لوحظت في القرآن الكريم في ضوء محورية الله تعالى، فهو الوحيد الذي يشكل هدفاً نهائياً اما سائر الاشياء فهي مطلوبة بالعرض وبقدر ماتمثل اداة للقرب من الله ... الحقيقة المطلقة ﴿ذلك بأن الله هو الحق، وان مايدعون من دونه هو الباطل﴾ الحج٦٢.

ان ملاحقة هذه الحقيقة وتتبعها هو هدفنا الاساسي، وثمة بالطبع سبل متنوعة للقرب الالهي فتشمل العبادة كل ما يحقق ذلك القرب وفي الوقت الذي تعد العبادات التقليدية طقوساً عبادية وحسب، فان دراسة الكون التي تشكل سبيلاً مهما لاكتشاف عظمة الله وعلمه وقدرته اللامتناهية، هي نوع آخر من العبادة حيث ورد مكرراً في القرآن الاشارة الى ظواهر الطبيعة كآيات الهية : ﴿ومن آياته خلق السموات والارض، واختلاف ألسنتكم وألوانكم، ان في ذلك لآيات للعالمين﴾ الروم ٢٢، ﴿ومن آياته خلق السموات والارض وما بث فيهما من دابة﴾ الشورى ٢٩.

ومن جهة اخرى فقد اكد القرآن على امكانية معرفة الخالق عبر آيات الآفاق والانفس: ﴿سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ...﴾ فصلت٥٣. اذن يمكن عد دراسة الظواهر الطبيعية لونا من العبادة، وهو في الواقع احد المستويات المهمة من العبادة، وقد اثر عن الامام علي (ع) قوله : (لاعبادة كالتفكر في صنعة الله عزوجل)[1].

رؤية الاسلام للكون والطبيعة

ان دراسة الظواهر الطبيعية أي آيات الله في الارض، تكشف لنا من وجهة نظر القرآن عن حقائق مهمة نشير هنا الى بعض منها:

١ـ مبدأ الاشياء: ﴿فلينظر الانسان مم خلق﴾ الطارق٥، ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت٢٠.

٢ـ النظام والانسجام بين اجزاء الخلق: ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ الرعد٨، ﴿... وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ الفرقان٢، ﴿والارض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون﴾ الحجر ١٩.

٣ـ هدفية الطبيعة وغائيتها: ﴿وما خلقنا السماء والارض وما بينهما لاعبين﴾ الانبياء١٦، ﴿افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لاترجعون﴾ المؤمنون١١٥، ﴿او لم يتفكروا في انفسهم، ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق واجل مسمى...﴾ الروم٨.

٤ـ اهمية الانسان وتسخير الطبيعة له: ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ الاسراء ٧٠، ﴿هو الذي خلق لكم ما في الارض جميعا...﴾ البقرة٢٩، ﴿والانعام

---

(١) ري‌شهري، محمد، ميزان الحكمة، ج ٣ طهران : دار الحديث، ١٤١٦ هـ ص ٢٤٦٥.

خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون﴾ النحل ٥.

نلاحظ ان القرآن وفي ذات الوقت الذي يذكر فيه بالنعم العظيمة التي منحها للانسان، فهو يحذره من الافساد في الارض ويدعوه الى اعمارها طبقا للشريعة الالهية: ﴿واذا تولى سعى في الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لايحب الفساد﴾ البقرة ٢٠٥.

٥ـ التدليل على امكانية البعث والنشور: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه الى بلد ميت فأحيينا به الارض بعد موتها كذلك النشور﴾ فاطر ٩، ﴿او ليس الذي خلق السموات والارض بقادر على ان يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم﴾ يس ٨١.

٦ـ التدليل على وحدة الخالق: برهنت البحوث العلمية على ان الكون لايتشكل من اجزاء منفصلة، وان بين هذه الاجزاء التي تبدو غير مرتبطة ببعضها وحدة وارتباطاً وثيقين في مستويات اعمق، وتنطوي مفردات العالم المتنوعة على وحدة خفية مما يبرهن على وحدة الخالق كما يعتقد المؤمنون.

سعى العلماء والفلاسفة بشكل دائم في سائر العصور الماضية الى تقديم صورة موحدة عن الكون فطرح اليونان نماذج كلية للعالم، وكان للعلماء المسلمين وكذلك لمؤسسي العلم الحديث ايضاً محاولات في هذا الاطار، فسعى نيوتن مثلا الى بناء تفسير موحد لحركة الاجرام السماوية ومظاهر الحركة التي نشاهدها في الارض، وثمة جهود لعلماء الفيزياء في العقود الاخيرة حاولت منح قوى الطبيعة اطاراً موحداً وقد نجحوا الى حد ما في هذا المجال، وحين يظن بعض العلماء ان الأمر ينتهي عند ذلك، فإن العلماء المؤمنين يعدون ذلك خطوة اولى وحسب على طريق القرب الالهي، وتوضح الآيتان الكريمتان رؤية كل من هذين الفريقين: ﴿وقالوا ما هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون﴾ الجاثية ٢٤، ﴿ان في خلق السموات

والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الالباب، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، ويتفكرون في خلق السموات والارض، ربنا ما خلقت هذا باطلا...﴾ آل عمران ١٩٠ ـ ١٩١.

لاقى البحث حول الوحدة لدى الفيزيائيين الذين تأثروا بعقيدة التوحيد، تأييداً شديداً بل وحتى من قبل آندريه ليندبه عالم الفلك المعاصر الذي لايعتقد بوجود الله، حيث يقول: (ان علم الفلك الحديث متأثر بشدة بعقيدة التوحيد الغربية... ان الفكرة التي تقرر امكانية تقديم فهم نهائي للكون عبر نظرية للاشياء كلها، نشأت عن الاعتقاد بالإله الواحد)[1].

وتعكس وحدة الخلق في القرآن وحدة الخالق: ﴿لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ الانبياء ٢٢، ونترقب على هذا الاساس من الرؤية القرآنية ان تقدم حقائق حول مبدأ الوجود وكيفية تكون الظواهر ووجود النظام وغائية الطبيعة او هدفيتها وامكانية البعث ووحدة الخالق. ولكن: هل يمكن للعلوم التجريبية معالجة هذه القضايا بشكل مباشر، ام انها تحتاج في ذلك الى الاستعانة بالميتافيزيقيا؟ انها اشكالية سنتولى عرضها فيما يلي:

اسئلة اساسية حول علوم الطبيعة

ثمة اربعة استفهامات اساسية حول العلم (بمفهومه في علوم الطبيعة) تحاول هنا استعراضها ومعالجتها.

١ ـ ما هي طبيعة العلاقة بين العلم والدين في الاسلام؟

يمتلك كل من العلم والدين في الاسلام اساساً ميتافيزيقياً واحداً، كما ان

(1) Christion Science Monitor, May 9, 1988, p. 84.

هدف المعرفة سواء تلك التي تستند الى الوحي، أو التي تعتمد مناهج البحث العلمي، هو تحديد صفات الله وآثاره للبشر، ويمكن ان نعد الجهد العلمي قسما من الجهود الدينية مع التمسك بخصوصية منهجه وخطابه. ان انسجام الكون وروعته تمثل تجليا للقدرة والمعرفة اللامتناهية للبارئ عز وجل، وهنا يطرح السؤال التالي: كيف يؤثر هذان الحقلان (العلم والدين) على بعضهما رغم ما يلاحظ من تفاوت بينهما في الظاهر؟ ويجيب القرآن بأن دراسة الطبيعة تستطيع احياناً ان توصل الباحثين من عالم الخلق الى ذات الخالق وتورثهم الايمان الديني ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون﴾ يونس ١٠١، فالمعرفة العلمية حسب الآية الكريمة، انما تساهم في تعزيز الايمان الذي هو موجود أساساً، والا فإن البحوث الطبيعية وحدها لن تنتهي بالضرورة الى الايمان بالله، ومما يدلل على ذلك ان المعرفة العلمية تقترن دائما بفروض ميتافيزيقية مسبقة، فتؤدي بالانسان الى الله اذا ما كان اطارها الميتافيزيقي مناسبا لذلك. ومن جهة اخرى يمكن للايمان ان يشكل دافعاً للبحث العلمي وهو العامل الذي يكمن وراء ماشهده عصر الازدهار الحضاري من اقبال علماء المسلمين على العلوم والمعارف المختلفة، ويقدم البيروني توضيحاً جيداً لهذه الحقيقة بقوله: (امّا البصر فللا اعتبار بما يشاهد من آثار الحكمة في المخلوقات، والاستدلال على الصانع من المصنوعات) [1].

ويصور ليفي رؤية العلماء المسلمين هذه بشكل موجز: (بقطع النظر عن القلة من العلماء المسلمين الذين راحوا يستلهمون الفلسفة اليونانية، فإن المسلمين الذين واجهوا النظريات العلمية كانوا مدفوعين بالرغبة في اكتشاف

---

(١) البيروني، ابوالريحان، الجماهر في الجواهر. طهران: شركة النشر العلمي و الثقافي، ١٩٩٥، ص ٧٧.

العظمة الالهية في عجائب الكون)[1].

ثمة تأثير آخر في مستوى الاهداف يمكن للدين ان يتركه على العلم، حيث باستطاعته ان يؤدي الى توظيف العلم في الجوانب ذات العلاقة بالشأن الروحي للانسان، وان يحول دون تلك التوظيفات التي تنطوي على غايات التخريب والدمار.

٢ـ ما هي المصادر المتداولة للمعرفة الطبيعية؟

يشير القرآن الكريم الى ان هنالك عدة مصادر معرفية لاكتشاف العالم الخارجي:

أ . المعطيات الحسية: ونريد بها الانفعالات الذهنية التي تحصل عبر الحواس (في اطار الملاحظة او التجربة) وكمثال على هذا نجد الآية الكريمة التالية تتضمن اشارة الى ذلك: **﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق...﴾** العنكبوت ٢٠.

ب . التأمل والتدبر، حيث نجد في القرآن ان الملاحظة والتجربة ضروريتان في اكتشاف العالم، غير ان هاتين الأداتين لاتكفيان في تفسير المعطيات الحسية والربط بينها، وليس ما يميز الانسان عن سائر الحيوانات هو الحواس الخارجية وانما يتجلى ذلك في القدرة على البرهنة والتأمل في معطيات الحس وتفسير الظواهر، وقد جاء في القرآن الكريم: **﴿...لهم قلوب لايفقهون بها، ولهم اعين لايبصرون بها، ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالأنعام بل هم اضل﴾** الاعراف ١٧٩، **﴿وان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لايبصرون﴾**

---

(1) R. Levy, The Social Strructure of Islam (Cambridge: Cambridge University Press, 1967), p 460.

الاعراف ١٩٨. اذن فإن المعطيات الحسية تكتسب قيمتها حين تخضع لأداة الفكر والتأمل والتعقل، فالأذن تسمع ولكن العقل هو الذي يتولى تفسير المعطيات السمعية ويصدر الاحكام بشأنها، اضافة الى ان القرآن الكريم يؤكد وجود معارف اخرى وراء الحس الذي يعجز عن ادراكها ﴿سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لايعلمون﴾ يس ٣٦، ففي الوقت الذي يحثنا القرآن على البحث التجربي حول الطبيعة، فإنه يؤكد ايضا على اهمية التعقل وعلى هذا الاساس لايسوغ لنا الاكتفاء بالمعارف الحسية بل لابد أن نستوعب جوانب كافية من عالم الطبيعة لنصل الى ما وراءها ونتعرف عليه.

ح ـ الشهود الروحي، اذ يمكن ان نستنتج من القرآن الكريم انه يوجد اضافة الى الملاحظة الحسية والتعقل، مصدر مباشر لاكتساب المعرفة من واهب المعارف، حول حقائق الكون، غير ان هذا المصدر ليس في متناول يد الجميع بل يختص به عدد محدود من عباد الله يتيسر لهم في بعض الاحيان الاستفادة منه، ولهذه القناة المعرفية مستويات مختلفة فهي الوحي الخاص بالانبياء(ع) في مستواها الاعلى، بينما يمثل الإلهام الذي يعرض للعلماء احياناً، مستواها الادنى وقد اعترف بهذه الحقيقة جملة من العلماء المعاصرين[1].

٣ـ هل يمكن استيعاب سائر جوانب الكون بواسطة النظريات العلمية السائدة؟

يعتقد الاتجاه التجربي ان الحس يشكل المصدر الوحيد لمعارفنا، ويلزم لذلك اقصاء مختلف المفاهيم الميتافيزيقية وتجريد نظريات العلم منها، اذ إنها لاتمتلك منشأ حسياً. وفي اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ظهرت

---

(١) كلشني، مهدي، القرآن و معرفة الطبيعة، بيروت دار الاضواء، ١٩٨٩، ص ١٠٦ ـ ٩٩.

اتجاهات حسية مختلفة كالوضعية والبراغماتية والاتجاهات ذات النزعة العملية وغيرها، وكان المحور الذي تشترك فيه سائر هذه المذاهب هو التأكيد الصرف على معطيات التجربة الحسية والرفض المطلق لقضايا الميتافيزيقيا، وهم يرون ان المعرفة الحسية تمثل السبيل الوحيد لاكتشاف الحقائق التي تعني بدورها ما يأتي عن هـذا المصـدر المعرفـي، ونلاحـظ ان هـذا الاتجـاه تـرك اثـرا عميقاً علـى المشتغلين بالعلوم الحديثة في النصف الاول من القرن العشرين، ولازالت تلك الآثار واضحة في الاوساط العلمية حتى الآن، غير انه، وفي العقود الاخيرة، راح يتضح بشكل متزايد ان المذهب الحسي يقدم فهماً سطحياً وساذجاً عن الكون، وان الممارسة التجريبية يمكنها تزويدنا بتصورات معمقة عن الطبيعة شريطة ان تقترن بجهود نقدية نظرية، ولذلك فإنه لابد من ملاحظة عدة حقائق حول دور الحس في تشكيل المعرفة الانسانية:

أ ـ لايمثل الحس المصدر الوحيد لمعارفنا حول العالم الخارجي.

ب ـ تتسم المعرفة الحسية بالمحدودية، وكما ورد في القرآن الكريم **﴿يسألونك عن الروح، قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلاً﴾** الاسراء ٨٥، كما ان هنالك حقائق كثيرة في العالم لانعرف عنها شيئاً **﴿فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون﴾ الحاقة ٣٨ ـ ٣٩.**

ج ـ ينبغي علينا ان نحاول تكوين تصورات وآراء حول الحقائق ماوراء الطبيعية (غير المحسوسة): **﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين، الذين يؤمنون بالغيب..﴾** البقرة ٢ ـ ٣، وحقيقة الامر ان البشر انما يدركون ظواهر الطبيعة المحدودة فقط، وهم يجهلون ابعاد الكون الخفية وغاياته **﴿يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون﴾** الروم٧.

ان المعرفة الاسلامية تتعامل مع الطبيعة كجانب من حقيقة اوسع، وقد أدى تطور العلوم الحديثة الى ان يعتقد الكثير من العلماء بإمكانية تفسير كل الاشياء

طبقاً للمعطيات الفيزيائية والكيميائية، وحسب ادورد ويلسون عالم الاحياء المعروف: (يمكن ان لايعد من المبالغة قولنا بأن علم الاجتماع وفروعه الاخرى اضافة الى سائر العلوم الانسانية، تمثل في النهاية فروعاً لعلم الاحياء، وينبغي ان تعاد صياغتها في اطار توفيقي جديد)[١]. وهو يعتقد ان علم الاخلاق ينبغي ان يعاد بناؤه ايضاً على ضوء علم الاحياء[٢].

ويقول فرانسيس كرك (F.Crick) : (يمكن القول اخيرا ان ثمة املا في ان يعاد بناء مختلف علوم الحياة ابتداء من مستواها الادنى حتى تصل الى الذرة... وتجعل المعرفة التي نمتلكها حالياً من غير المحتمل ان يظل ثمة شيء تعجز الفيزياء والكيمياء عن تقديم تفسيرات ازاءه)[٣].

غير أنه ظهرت في العقود الاخيرة آراء لبعض العلماء البارزين راحت تبدي الشكوك حول امكانية تفسير شؤون النفس كالشعور والاحساس بواسطة القضايا الفيزيائية، ويقول كورت غودل احد الكبار المتخصصين في المنطق الرياضي، ضمن رسالة وجهها في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧١، الى هايو وانغ: (انني لااعتقد ان الدماغ الانساني قد تكوّن بطريقة داروينية، وان ذلك في الواقع امر قابل للرفض... وتمثل الطاقة الحياتية عنصرا اولياً في تشكيل الكون وهي تتبع بعض قوانين الفعل ورد الفعل، وهذه ليست بالقوانين الساذجة ابداً)[٤]. ويقول ويلدر بنفايلد (Wielder Penfield) جراح الأعصاب الكندي الذي كتب ابحاثاً عديدة حول امراض الدماغ: (حيث اني اعتقد بأننا سنمتلك يقيناً بعدم امكانية

---

(1) Mikel Stennmark, Religious Studies, 33, 1977, p 16.

(2) Ibid. p. 26.

(3) Ibid., p. 17.

(4) John Cornwell, ed., Natures Imagination (Oxford: OUP, 1995) , p. 173.

تفسير النشاط العقلي على اساس النشاط العصبي داخل الدماغ، واعتقد كذلك بأن العقل يتطور ويتكامل بشكل مستقل... فإنني مضطر لهذه الاسباب ان انحاز الى الرأي القائل بأن وجودنا يلزم ان يفسر في ضوء امرين اساسيين... العقل والدماغ كعنصرين شبه مستقلين)[1].

كما يقول ايكلس (Eccles) عالم الاحياء الانجليزي المعروف: (كلما تقدمنا اكثر في فهم نشاط الدماغ الانساني فهو يبدو لنا اكثر روعة كظاهرة فريدة، قياساً الى أي شيء آخر في عالم الطبيعة)[2]، ويقول ويغنر الحائز على جائزة نوبل في الفيزياء: (انني مطمئن حتى الآن بأن الحياة ظاهرة مهمة تقع بشكل كامل خارج نطاق الاهتمام الحالي للفيزياء)[3]. ويعتقد ويغنر كذلك ان للشعور هوية غير فيزيائية، ولكنه يرى الى جانب ذلك انه لو شئنا تفسير الحياة فيزيائيا للزمنا استحداث مفاهيم واسس فيزيائية جديدة لذلك الغرض[4].

٤ ـ هل يتولى العلم بمفرده تفسير الكون؟

مع التنمية العلمية الحديثة والنجاحات التي تحققت في اطار ذلك في توضيح قسم كبير من الظواهر، اصبح العلم بين النصف الثاني من القرن التاسع عشر والاول من القرن العشرين، مرجعية عليا سواء للعلماء او للعامة من الناس، بينما فقدت

---

(1) T.D. Singh and Ravı Gomatam, eds., Synthesis of Science and Relıgıon (Bombay: The Bhaktivedanta Institure, 1987), p. 18.

(2) A. Varghese, ed., The Intellectua Speak Out about God (Chicago: Regenery Gateway, 1984), p. 50.

(3) Henry Margenau and Ray A. Varghese, eds , Cosmos, Bios, Theos (La Salle, Illinois: Open Court, 1992) , p. 277.

(4) T.D. Singh and Ravi Gomatam, eds., op cit.,p.261.

الميتافيزيقيا مكانتها بين العلماء وعملت سيادة الاتجاهات المختلفة للمذهب الحسي على تكريس تلك الرؤية الى حد راح البعض يعتقد ان العلم هو صاحب الامكانيات المطلقة (omini potent) والقادر على الاجابة عن كافة التساؤلات الانسانية[1].

ورغم ذلك فقد واجه الاتجاه الحسي في العقود الاخيرة جدلا شديدا بفعل عوامل سنأتي على ذكرها:

أ ـ طال التشكيك لزعم الذي يؤكد قدرة العلم على تأمين اجابات حيال الاسئلة الرئيسية التي يطرحها الانسان، ويقول بيتر ميدوور: (من المحتمل ان ثمة اسئلة يعجز العلم عن تقديم اجابات حيالها باعتبار ما هو عليه من محدودية، كما لا يمكن لأي تطور علمي متوقع ان يؤهله لذلك. انها الاسئلة التي يطرحها الاطفال، والاسئلة النهائية لكارل بوبر، كما ان لدي اسئلة من قبيل: كيف ابتدأت الاشياء؟ من اجل ماذا نحن هنا؟ من أي المواد خلقنا؟ ما هو هدف الحياة؟)[2] ويضيف ايضاً: (اذن ليس في وسع العلم ان يجيب على مايدور من اسئلة حول بدايات الاشياء او نهاياتها، والذي يتكفل الاجابة عن ذلك انما هو الميتافيزيقيا، وادب الخيال، والدين) [3].

كما كتبت آنا هاريسون (Anna Harrison) رئيسة الجمعية الامريكية للتقدم العلمي في مجلة (Science) ضمن عددها الصادر بتاريخ ٢٦ فبراير (شباط) ١٩٨٢ قائلة: (اعتقد ان الاوساط العلمية قايضت في الماضي العلم والتقنية بثمن

---

(1) P. Atkins, in John Cornwell, ed. Op. Cit.

(2) Peter Medawar, p. The Limits of Science (Oxford: Oxford University Press, 1984), P. 66.

(3) Ibid. p. 60.

باهظ، او ان عامة الناس هم الذين اخذوه بذلك الثمن. هنالك اسئلة لايمكنها ان تتوجه الى العلم او التقنية، وثمة اشياء يعجز العلم عن الوفاء بها)[1].

يمكن القول بإيجاز ان الاسئلة ذات العلاقة بأنحاء الوجود ومستوياته ومجالات التباين بينها، خارجة عن نطاق العلم، وهو لايمكنه ان يؤمّن اجابات ازاء الاسئلة المرتبطة بالله، والروح وخلودها، وحرية الارادة.

ب ـ ثمة اسئلة يطرحها العلم وتتعلق بشؤونه الخاصة، غير أنه يجب البحث عن اجاباتها في مجال آخر وراء العلم واليك بعضا من امثلة ذلك:

ـ ماهو مصدر قوانين الفيزياء؟

ـ لماذا تقع قوانين الطبيعة في دائرة ادراكاتنا؟

ـ ماهو السبب في ضرورة ان يوجد عالم تسود فيه تلك القوانين؟

وبعبارة أيسر فإن المبادئ العلمية ينبغي ان تبحث خارج النطاق العلمي.

يرى الاسلام ان الكون ظاهرة قد صممت سلفاً، ويمكننا نحن ان ندركه لأن عقولنا قد خلقت مع الكون من قبل خالق واحد وأوجد انسجاما بين هذين الأمرين، اذ ان الله سبحانه طبقاً لما جاء في القرآن، هو واهب المعارف البشرية وهو الذي استخلف الانسان على الارض ومنحه القدرة على اكتشاف العالم: ﴿وعلم آدم الاسماء كلها...﴾ البقرة ٣١.

ج ـ اننا لانتعامل مع الطبيعة ابداً بأذهان خالية، ويرتبط تفسيرنا للمعطيات التجريبية والى حد كبير بالقبليات والفروض التي نمتلكها.

د ـ لايمكن استنتاج العديد من المفاهيم من التجارب الحسية، فنحن لانحصل على مفهوم العلية مثلا من المعرفة الحسية، حيث ان الادراك الحسي

---

(1) Scienc, 26 February, 1982, p. 1062.

لايكشف لنا سوى التقارن او التعاقب بين ظاهرتين وحسب، اما القول بأن ثمة علاقة علية بينهما فإنه استنتاج عقلي.

هـ ـ نستخدم احياناً مفاهيم لم تنشأ عن التجربة بشكل مباشر، نظير الـ (كوارك)[1]، غير ان الاتجاه الحسي يرفض اللجوء الى هذه المفاهيم.

و ـ يستند الجهد العلمي بوعي او دون وعي الى بعض المبادئ العامة التي تعرف بأنها (المبادئ الموجهة) بالكسر، او(المبادئ التنظيمية) وهي عبارة عن فروض ميتافيزيقية تؤمن اطارا للبحث العلمي. لقد كان ديراك يعد الطابع الرياضي للنظريات شرطاً في قبولها، بينما يرى هايزنبرغ ان المعيار في ذلك هو البساطة الرياضية، وفي المقابل تمثل وحدة الخلق وانسجامه مبدأ مهما في الاسلام.

ويعجز العلم اساساً عن العمل دون الاستعانة بالفروض ماوراء العلمية، فنلاحظ مثلاً ان فرض كون التجارب الحسية مورثة للاطمئنان، والفرضية التي تقرر اهلية العقل لاستيعاب ظواهر الطبيعة و... الخ، هي فروض توظف دائما في البحث العلمي، الامر الذي يدل على ان العلم ليس مكتفياً بشكل ذاتي في هذا المجال، كما اصبح من الواضح اليوم ان تبني نظريات العلم يتأثر بالفروض الماورائية وحتى بالعقائد الدينية التي يطرحها العلماء.

ز ـ ان ما يطرحه العلم من قضايا تتعارض مع بعض المبادئ الميتافيزيقية، يمثل في حد ذاته مقولات فلسفية لا تقع داخل العلم، وعلى سبيل المثال فقد اذعن ماكس بورن عام ١٩٢٦ أن ما انجزه في مجال الذرة كان تعميماً فلسفياً لافيزيائيا[2].

---

(١) وهي جزيئة فرضية تعد بأنها تتدخل في تكوين بعض الذرات المهمة المكتشفة.

(2) Max Born (On the Qantum Mechanics of Collisions) in Quantum Theory and Measurment, ed. J.A. Wheeler and W.H. Zurek (Princeton: Princeton University Press, 1983), p. 54.

ج ـ يلزم طبقاً لقضية غودل، من اجل تحليل نظام (رياضي مثلا) يرتكز على مبادئ، ان نستعين بقضايا من خارج ذلك النظام، وهذا مايصدق بشكل خاص في علوم الفيزياء التي تمتلك الرياضيات دورا مهماً فيها. وعلى هذا الاساس ينبغي ان نستعين بما وراء العلم في تفسير المعطيات العلمية، وعلى حد تعبير روجر ترايغ (الفيلسوف الانجليزي المعاصر): (من اجل ان يتولى العلم تقديم تفسيرات لجميع الاشياء، فإننا بحاجة الى ما يبرر لنا الوثوق بالعلم)[1]. ويوضح فريمن دايسون الفيزيائي المعاصر الشهير، وبشكل ممتاز ما تعانيه علومنا من محدودية قائلا: (كلما ابدعنا آلية جديدة، فإنها تؤدي دوماً الى المزيد من الاكتشافات غير المتوقعة، وذلك لأن خيال الطبيعة اشد خصباً من خيالنا)[2].

ط ـ تعرضت بعض المبادئ الفلسفية للعلم الحديث الى جدل شديد وطرحت بإزائها بدائل نظرية في مجال علوم الطبيعة، ويعود ذلك الى عدة عوامل:

ـ خلقت التطورات المهمة في البحث العلمي، تيارا راح ينقد الرؤية الميكانيكية للعالم.

ـ ادت الازمات البيئية الى التفكير بشكل جدي في ضرورة تأسيس علاقة مناسبة بين الانسان والطبيعة والتقنية.

ـ تولت جهود مؤرخي العلم ايضاح العديد من جوانب سوء الفهم الذي يحيط بحجم الاسهام العلمي للأمم السابقة، وفيما يرتبط كذلك بالعلاقة التي سادت في الماضي بين العلماء واهل الديانات المختلفة.

---

(1) Roger Trigg, Rationality and Science: Can Science Explain Everything? (Oxford: Blackwell, 1993), p.9.

(2) John Cornwell, op.cit., 1995p. 11.

ـ ظهرت مذاهب جديدة راحت تسعى الى تكوين رؤية ذات طابع شمولي، وتتوخى طرح اطار فلسفي موحد ونظائر ذلك، وطرحت مثلا فكرة تؤكد بأننا نواجه مستويات مختلفة من العلم، كما راح البعض يعتقد ان لدينا قوانين في الطبيعة لم تكتشف حتى الآن.

ي ـ رغم ما حققه العلم من نجاح كبير في مجالات متعددة، الا انه ظل يخفق في معالجة بعض المسائل الاساسية داخل الاطار العلمي ذاته، لذا فإن بعض العلماء راحوا يرون انه لايمكن اعتبار العلم معرفة مطلقة ونهائية، رغم انه يتمكن من استيعاب بعض جوانب الكون، حيث ان فروع المعرفة الاخرى تستطيع ان تكتشف المزيد من تلك الجوانب، وكما يقول دسبانيا (عالم الفيزياء الفرنسي): (يبدو الآن من المعقول ان تتولى المجالات المعرفية الاخرى غير العلمية... الى جانب العلم، اكتشاف بعض الابعاد التي يعجز العلم عن تحديدها في بنية الواقع)[1]. ويمكن ان يقال: حيث ان الكون ليس احادي البعد، فإنه يمكن الاستعانة بتوصيفات مكملة في مجال تقديم ملاحظة اشمل حياله، ففي معرض فني مثلاً يشاهد الاشخاص المختلفون جوانب متنوعة، حيث ينشغل عالم الرياضيات بملاحظة الأبعاد الفنية، وينصرف الكيميائي الى التأمل في المركبات الكيميائية التي اعدت بها لوحات الرسم، بينما يظل المؤرخ يفكر في التأثير الذي تركته المدارس الفنية السابقة على مايراه الآن من اعمال، وتنتمي كل مستويات الملاحظة هذه الى نمط من المعرفة يمتلك اهمية في اطاره الخاص، كما لا يفتقر أي من المستويات تلك الى خاصية الانسجام مع المستويات

---

(1) Bernard d,Espagnat, (Veiled Reality), in symposium on the Foundations of Modern Physics, ed. P. Lahti and p. Mitelstaedt (Singapore: World Scientific, 1987), p. 160.

الاخرى. وينبغي ان يوضع العلم المعاصر في اطار ميتافيزيقي مناسب يوفر الامكانية لأخذ سائر الوان المعرفة والتجارب البشرية في نظر الاعتبار. يقول جورج إليس عالم الفلك الشهير: (يجب ان نعتمد معايير واسعة تأخذ في الحسبان كامل دائرة التجارب البشرية، ولا تقتصر على مايخضع منها للوصف العلمي)[1]. ان هذه الرؤية سادت بين كبار العلماء في الحقبة المزدهرة من الحضارة الاسلامية، وكانت تستند الى تعاليم الاسلام.

النتيجة

ينطوي مفهوم العلم في مفهومه القرآني الشامل للعلوم الطبيعية ايضاً، على مضمون قيمي ويستند الى مبادئ ميتافيزيقية ايضاً (وسيتولى الفصل الاخير من هذا الكتاب تفصيل هذا الجانب) فالقرآن الكريم يصرح ان كل الاشياء تعبر عن آيات الهية، من حيث انها تعكس الصفات الالهية، ويمكن في ضوء هذا ان نعد العلوم الطبيعية جهوداً تتوخى دراسة آثار الخلق الإلهي، ويمكن بالتالي ان تعد الممارسة العلمية نوعاً من الممارسات الدينية. ان البحوث العلمية التي تدور حول الطبيعة تتسم، حين تتم في اطار اسلامي، بالخصائص التالية:

١ـ تمثل المعرفة العلمية في الاسلام حقلاً يتطابق مع مبادئ الوحي ومعاييره واهدافه، ويمتاز المنهج المعرفي الاسلامي برؤية شمولية فهو لايفصل بين المعرفتين العلمية والدينية، والهدف الاساسي للمعرفة العلمية في الاسلام هو هداية الانسان والأخذ بيده نحو الله خالق الكون وحافظه، واكتشاف صفاته عز وجل (العلم، والقدرة، ... الخ)، كما ينتظر من ذلك العلم ان يكتشف وحدة الطبيعة وبالتالي وحدة خالقها، وتمثل فكرة توحيد الخالق مبدأ اساسياً في

---

(1) George Ellis, Before the Beginning (London: Boyars Bowerdeam, 1993), P. 86.

الاسلام تخضع لتقييمه سائر الافكار الاخرى.

٢ـ لاتكشف لنا العلوم الطبيعية عن الابعاد الكاملة للطبيعة، ويمكنها فقط ان تحدد اشياء خاصة، اما القضايا التي تعبر عن مستوى اكثر دقة مما هو في متناول يد العلم، فهي تبقى خارج ذلك النطاق، وليس العالم وجوداً أحادي البعد كما ان ثمة اكثر من سبيل لاكتشافه، غير ان الصور المختلفة لذلك العالم بأبعاده المختلفة، تتمتع بالانسجام الذي يؤدي الى تكوين وصف اكثر تكاملاً. ويستهدف العلم اكتشاف الطبيعة بينما يشتمل الدين على اسئلة تدور حول القضايا ما وراء الطبيعية، ومن غير المنطقي ان نلجأ الى العلم لنتساءل: هل يوجد ثمة شيء وراء الطبيعة ام لا؟

يشبّه السير آرثر ادينغتون العلم، بشباك صيد تلقى في البحر، فعلى تقدير ان تكون منافذ الشباك هذه بحجم ثلاثة سنتيمترات فإنه لامبرر لاستنتاج عدم وجود الاشياء ذات الحجم الأقل[1]. ينبغي ان لا تعد المعرفة العلمية مساوية للمعرفة المطلقة، بل يلزم ان توضع في اطار ميتافيزيقي مناسب يعترف فيه رسمياً بمستويات المعرفة الاعلى، وتتجلى ضمنه وحدة الطبيعة، كما يضطلع فيه العلم بدوره على صعيد الهداية الإلهية.

٣ـ اهملت العلوم الحديثة ملاحظة غايات الاشياء، وراح بعض العلماء يعتقدون بعبثية الكون، ورأى آخرون ان مفهوم الغاية والهدف لايمتلك أي محصلة بينما اعتبره بعضهم مما يترك أثراً سيئاً في البحث العلمي، اما في القرآن الكريم فإن الكون مخلوق له غاية ونهاية محددة، وثمة دعوة قرآنية لاستيعاب جوانبه الغائية (او لم يتفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما

---

(1) Michael Poole, Beliefs and Values in Science Education (Buckingham: Open University Press, 1995), p. 91.

الا بالحق واجل مسمى وان كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون) ولايمكن ان نستنتج عدم وجود غاية للكون على اساس ان العلم لايقول لنا شيئاً حول تلك الغايات.

٤ـ لايمكن في الاسلام ان يترك العلم وشأنه، بل يلزم ان تخضع توظيفاته لرؤية دينية ذات طابع شمولي.

٥ـ ان الايمان بالله يستلزم الاعتقاد بوجود حقيقة اكبر من عالم الطبيعة، كما ان الايمان بوجود بعد غير مادي في الواقع يوفر امكانية الحديث عن العلل اللامادية، وفي سبيل تكوين فهم متكامل للظواهر الطبيعية فإن من الضروري ان تستوعب جهودنا اكتشاف سائر العلل: من مادية وغيرها، ويؤدي تهميش دور العلل اللامادية والاقتصار على ملاحظة العلل المحسوسة، الى ترك العديد من الاسئلة دون اجابات، لأن العلل المادية ذاتها ترتبط بطبيعة الحال بذلك اللون الميتافيزيقي من المؤثرات ولايمكن ان توجد بدونه، كما يمتلك هذان القسمان من المؤثرات اطاراً مناسباً للعلاقة في دائرة المعرفة الاسلامية التي تعنى بتكوين رؤية ذات طابع شمولي في مجال الاسباب والعلل.

٦ـ توجد في الاسلام مستويات مختلفة للمعرفة، اما النزعة التحويلية [أي محاولة ارجاع كل شيء الى الفيزياء] فليس لها موقع في هذا المحال، لأن البعد الفيزيائي لايشكل الحقيقة النهائية للاشياء.

٧ـ ان العلوم الانسانية اليوم في اطارها التجريبي الذي يضم علم النفس والاجتماع والاقتصاد... الخ، متأثرة بشكل كبير بمنهج العلوم الطبيعية وادواتها ونتائجها، والاوساط العلمية لا تؤمن بشكل عام بوجود تفاوت مهم بين العلوم الانسانية التجريبية وعلوم الطبيعة، حيث تختزل الاخلاق في ظاهرة اجتماعية بينما يكتفي في دراسة الانسان بملاحظة ما ينطوي عليه من دوافع فيزيائية وغريزة جنسية وسلوكيات شاذة ونظائر ذلك، الا ان موضوع العلوم الانسانية ليس جماداً

لا روح له كي تنعدم قابليته للتأثير ازاء نمط الملاحظة تلك وما يكتنفها من تصورات وسلوكيات. ويمكن للإنسان اخفاء حقيقته عن البحث العلمي فيسهل على البشر ان يقوموا بإخفاء مشاعرهم ورغباتهم عن الشخص الذي لايميلون اليه. ان الحقيقة التي غالباً ما تتجاهل في اتجاهات علم النفس وعلم الاجتماع المعاصر، هي انه ليس كل القضايا المرتبطة بالسلوك الانساني قابلة للملاحظة الحسية، ولذلك فإنها ليست خاضعة بالكامل لمحاولات قياسها وتحديد احجامها، كما لايمكن اختزال المكونات الاخلاقية او المعنوية للفرد او المجتمع في الشؤون المادية. وتفتقد الاتجاهات السائدة في علم النفس والاجتماع، الأداة اللازمة في تحديد الابعاد اللامادية للفرد والمجتمع والتعامل معها بشكل مناسب، والمشكلة الاساسية في هذه الاتجاهات انها تريد الافادة من تلك الأدوات والمناهج التي تستخدم في مجال اكتشاف المادة، ضمن بحوثها حول الفرد والمجتمع.

لقد حدد عطاء الرحمن عالم الكيمياء الباكستاني، هذه النقطة بشكل جيد حيث يقول: (ان الفرضية التي تؤكد امكانية استنتاجنا من هذه المعطيات، حقائق حول العالم اللامادي الذي يختلف تماماً، شبيهة بمحاولتنا ان نستنتج من صوت الحمار معطيات تتعلق بتركيب الحامض النووي. ولايمكن العثور على اساس منطقي واحد يبرر تعميم المعطيات المادية، على مجالات تختلف عن المادة بشكل كامل)[1].

---

(1) I.R al-Faruqi and A. O. Naseef, eds., Social and Natural Scinces (Jeddah: King Abdulaziz University, 1981) , p. 168.

الفصل الرابع

عوامل الإبداع والتقدم العلمي في الحضارة الاسلامية



مظاهر الابداع العلمي عند المسلمين

تطلق الحضارة في مفهومها العام على مجموعة العلوم والفنون والقوانين والآداب والتقاليد، التي تساهم في تشكيل الحالة الفكرية والسياسية والاقتصادية والتقنية وسائر المظاهر الاخرى بشقيها المادي والمعنوي، في حياة احدى الأمم خلال حقبة من الزمن.

ومن المؤسف ان الصورة التي نحملها عن الحضارة الاسلامية، عبر امتدادها منذ صدر الاسلام حتى اليوم، ليست بالصورة المشرقة سوى في بضعة قرون، وسنركز في بحثنا هذا عليها فنبحث العوامل التي ساهمت في تكوين تلك المرحلة.

فيما يرتبط بالعهد الذي تلا تعريب علوم اليونان والسريان والفرس... الخ، وشهد نهضة علمية ظهرت في بلاد الاسلام، لا يوجد سوى اختلاف يسير بين المؤرخين وهو غالباً ما يتعلق بحجم الابداع والإسهام الاسلامي في التراث العلمي للأمم المتقدمة، واذا كانت ثمة تشكيكات في هذا المجال اطلقها بعض الغربيين، فإن القرن الاخير شهد ظهور عدد متزايد من المؤرخين الذين اذعنوا بالابداع الاسلامي، ويقول بريفالت (Briffaylt) على سبيل المثال: (لقد ترك اليونانيون اسهامات في التنظيم والتعميم وبناء النظريات، غير ان مسارات البحث الجريئة، وجمع المعارف المهمة، ووضع المناهج العلمية التي اتسمت بالدقة، الى

جانب الملاحظة التفصيلية الدائبة والجهد التجريبي، ... كل ذلك لم يكن يونانيا. ان الشيء الذي نسميه اليوم علماً وما نشأ في اوربا كنتيجة لطبيعة الرؤية الحديثة، أي مناهج البحث الجديدة، والمنهج التجريبي، والملاحظة، والقوانين الهندسية والرياضيات العالية، جميع هذه الامور كانت مبهمة عند اليونان، وقد تم نقل تلك الروح وتلك المناهج الى اوربا بواسطة العرب، ويمثل العلم الحديث اهم اسهامات الحضارة الاسلامية)[1].

ويذعن جون بيرنل بأن العالم الاسلامي اصبح فضاء للتفاعل بين المعرفتين الآسيوية والاوربية، الامر الذي ادى الى انجازات هامة: (لقد استنقذ المسلمون ما كان ارسطو نفسه ورغم ماعرف عنه من نبوغ، ضعيفاً في مجاله وهو العلم والرياضيات والميكانيك، وارى ان عظمة العرب كانت تكمن في انهم تمكنوا من استقطاب خلاصة الإرث العقلي للأمم التي تعاملوا معها، لا فيما قدموه من ابداعات ملفتة للنظر.

لقد تمكنوا من استيعاب الرياضيات والطبيعيات اليونانية، وهو ما كان اليونان يحتقرونه ولايبدي النصارى أي اهتمام به، فقد بادر العرب الى تدشين مشروع طويل الأمد للتنمية التدريجية والتطبيق العلمي، مما كانت تزدريه اليونان في افضل احوالها وظروفها. فقد أخذ العرب من الهند العلامات الضرورية (العربية) واتقنوا صورة الحدود الجبرية التي لم يكن للعلماء المحدثين بدونها ان يضيفوا شيئا على معارف اليونان، ودشنوا في اسبانيا خلال القرن العاشر، حضارة لم تكن علمية وحسب، بل اشتملت على الفنون وتقنيات الحياة، وبإيجاز فإنهم كانوا يمتلكون في العصور الوسطى ذلك النوع من الفكر العلمي والحياة العلمية

---

(1) M. Iqbal, The Reconstruction of Religious Thought in Islam, (Lahore: Ashraf press, 1960) , pp. 130-131.

والتقنية، التي ننسبها الى المانيا الحديثة، واعتقد انهم خلافاً لليونان لم يبدوا احتقارا للمختبر والنمط الصبور من التجربة، وسخروا العلم لصالح الحياة بشكل مباشر في مجال الطب والميكانيك وسائر التقنيات، بدلاً من اعتباره هدفاً نهائياً، فورثت عنهم اوربا ما يحلو لنا ان نسميه بالروح البيكونية التي تستهدف تطوير دائرة سلطة الانسان على الطبيعة)[1].

امتلك المسلمون موقع الريادة العلمية في العالم طيلة ستة قرون، كان ضمنها ٣٥٠ عاماً من الريادة المطلقة دون منازع، و٢٥٠ عاماً من الريادة المشتركة مع النصارى، ويعتبر جورج سارتون الفترة من النصف الأخير للقرن الهجري الثاني، حتى نهاية القرن الخامس، حقبة ريادة مطلقة للمسلمين لم ينازعهم فيها احد، وهو يحدد شخصاً لكل خمسين عاماً من تلك الفترة ويطلق عليها اسمه، كما يلي[2]:

١ـ عصر جابر بن حيان (١٥٠ ـ ٢٠٠هـ) (٧٥٠ ـ ٨٢٠م).

٢ـ عصر الخوارزمي (٢٠٠ ـ ٢٥٠هـ) (٨٠٠ ـ ٨٥٠م). ويعتبر سارتون الخوارزمي من اكبر علماء الرياضيات المسلمين واهم رياضي في عصره.

٣ـ عصر الرازي (٢٥٠ ـ ٣٠٠هـ) (٨٥٠ ـ ٩٠٠م). يعتقد سارتون ان الرازي كان ابرز طبيب مسلم في القرون الوسطى، ورائد الكيمياء في عصر التنوير.

٤ـ عصر المسعودي (٣٠٠ ـ ٣٥٠هـ) (٩٠٠ ـ ٩٥٠م). يمثل المسعودي عند سارتون أحد أهم علماء الجغرافيا اضافة الى انه شخصية جمعت مختلف العلوم

---

(1) J. H. Randall, The Making of the Modern Mind, (New York: Columbia University Press, 1976), p. 208.

(2) G. Sarton, Introduction to the History of Science (Baltimore: Carnegie Institution of Washington, 1927), pp. 520-783.

وهو يذكر في سبب اختياره هنا، ما اتسم به من فضول علمي وشمولية معرفية.

٥ـ عصر البوزجاني (٣٥٠ ـ ٤٠٠هـ) (٩٥٠ ـ ١٠٠٠م). حيث كان ابوالوفاء البوزجاني اهم علماء الرياضيات المسلمين وساهم في تطوير قوانين المثلثات بشكل ملفت للنظر.

٦ـ عصر البيروني (٤٠٠ ـ ٤٥٠هـ) (١٠٠٠ ـ ١٠٥٠م). ويعد سارتون ابا الريحان البيروني ابرز عالم مسلم وواحدا من اهم العلماء عبر التاريخ، وهو يصف ابن سينا بذلك ايضاً غير انه يطلق على هذا العهد اسم البيروني لأنه يعتقد بأن البيروني يعبر عن خصائص هذه الفترة بشكل افضل.

٧ـ عصر الخيام (٤٥٠ ـ ٥٠٠هـ) (١٠٥٠ ـ ١١٠٠م) ويمثل الخيام لدى سارتون احد اكابر علماء الرياضيات في القرون الوسطى.

كما يعتقد سارتون فضلاً عن ذلك ان المسلمين وطيلة ٢٥٠ عاماً اخرى كان لهم فضل امتلاك علماء من الطراز الاول كنصير الدين الطوسي، وابن رشد، وابن النفيس، غير ان النصارى نشطوا في هذا المجال خلال تلك الفترة ايضاً وظهر بينهم رجال نظير روجر بيكون.

عوامل الابداع العلمي

ثمة عوامل متعددة لعبت دوراً في تحقيق المسلمين للتقدم العلمي والتقني خلال تلك الفترات ونذكر هنا تلك العوامل كما يلي:

١ـ حث القرآن الكريم والسنة الشريفة على العلم

لقد كانت الدوافع الاساسية لاشتغال المسلمين بالعلوم المختلفة واخذها عن اليونان ومصر والهند... الخ، هي حث الاسلام الشديد على تحصيل العلم في مختلف الاحوال، الى جانب المكانة التي منحها لأهل العلم، حيث ان القرآن يميز بين الجاهل والعالم **﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون﴾** الزمر٩،

ويقول رسول الله(ص): (من اراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن اراد الآخرة فعليه بالعلم، ومن ارادهما معاً فعليه بالعلم)[1] كما قال(ص): (هلاك امتي في ترك العلم)[2]، وعن علي(ع): (اكتسبوا العلم يكسبكم الحياة)[3]. يقول جورج سارتون في كتابه (مقدمة في تاريخ العلم): (انني اتساءل ثانية: كيف يمكن ان نتعرف على علوم المسلمين اذا لم ندرك علاقتها المحورية بالقرآن) ؟[4].

٢ـ تشجيع القرآن على دراسة الطبيعة

يدعو القرآن الكريم بشكل متكرر، الناس الى التدبر والتأمل في شؤون الكائنات، وهو يحذر من التعاطي الساذج مع الآيات الالهية في الطبيعة **﴿افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت، والى السماء كيف رفعت، والى الجبال كيف نصبت، والى الارض كيف سطحت﴾** الغاشية ١٧ ـ ٢٠، **﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض﴾** يونس ١٠١، **﴿وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون﴾** يوسف ١٠٥. يقر نلينو صراحة بأن ما دفع المؤمنين الى الاشتغال بعلم الفلك هو الآيات القرآنية التي حملت بالتأكيد على اهمية الاجرام السماوية وتناولت اوضاعها وحركاتها ودعت الناس الى التدبر فيها ويقول: (العامل الآخر الذي لفت نظر المؤمنين الى علم الفلك هو الآيات القرآنية

---

(١) القرشي، باقر شريف، النظام التربوي في الاسلام. بيروت : دارالتعارف للمطبوعات، ١٣٩٩هـ ص١٨٨.

(٢) م. ن، ص١٨٥.

(٣) التميمي، عبدالواحد الآمدي، غررالحكم و درر الكلم، تصحيح سيد مهدي رجائي. قم : دارالكتاب الاسلامي، ١٤١٠ هـ ص ١٥٠.

(4) G. Sarton, Introduction to the History of Science, vol. I (Baltimore: the williams & Wilkins Co., 1927, p. 1.

وهي تتحدث عن المنافع التي جعلها الله لبني البشر في حركة الافلاك، وتحث الناس على التدبر الملي فيما انطوت عليه تلك الظواهر السماوية من حكمة ورحمة. ولهذا السبب نجد في تفاسير القرآن الضخمة كمفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي وتفسير نظام الدين الحسن القمي النيسابوري، انها تتولى بحث مسائل الفلك بشكل تفصيلي كلما سنحت الفرصة الى ذلك، كما نرى ان ابن يونس الفلكي المصري المشهور المتوفى عام ٣٩٩هـ / ١٠٠٩ م وفي مقدمة الزيج الذي ألفه، قام بجمع سائر آيات القرآن ذات العلاقة بمسائل الفلك، ورتبها حسب تصنيف موضوعي، اضافة الى ان العديد ممن تركوا مصنفات حول عقيدة التوحيد كانوا يهدفون الى تحديد افضل السبل الى معرفة الله وتعظيمه، وتمثل ذلك بالتدبر في عجائب الخلق وملاحظة الحكمة التي اودعت في المخلوقات، حيث تحمل كل هذه دلالة على صانعها وعلى سعة علمه. ولهذا فقد حث القرآن الناس على الاعتبار بمثل هذه الظواهر)[١].

٣ـ التشجيع على الإفادة من كل مصادر العلم

يمكن ان نستنتج من القرآن والسنة لزوم اخذ العلم والحكمة من أي موطن يتوفران فيه، وقد ورد في القرآن الكريم ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه﴾ الزمر ١٧ـ١٨. وورد في الحديث عن النبي(ص): (اطلبوا العلم ولو في الصين)[٢]. وعن علي(ع): (ان العلم ضالة المؤمن فخذوه ولو من ايدي المشركين)[٣].

---

(١) نلينو، كارلو الفونسو، تاريخ نجوم اسلامي (تاريخ علم الفلك الاسلامي) ترجمة احمد آرام. طهران: مطبعة بهمن، ١٩٧٠، ص ٢٨٨ ـ ٨٩.

(٢) المجلسي، محمدباقر، بحار الانوار، ج ١ بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٠٣هـ ص ١٨٠.

(٣) القرطبي، ابو عمر يوسف بن عبدالبر. جامع بيان العلم وفضله (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤١٥ هـ ص١٢٢).

يشير المرحوم ميرداماد[1] في تعليقته على كتاب اصول الكافي ان المبرر في تتلمذ هشام بن الحكم على يد ابي شاكر الزنديق، هو التأسي بالتعاليم النبوية التي كانت تقرر[2]: ان الحكمة ضالة المؤمن تؤخذ حيث وجدت، وينبه المرحوم مرتضى مطهري الى ملاحظة مهمة حول تعريب العلوم والفلسفات في العهد العباسي قائلاً: (نجد في احاديث ائمة المذهب انهم كانوا يمارسون نقد الخلفاء بشكل مستمر ويكشفون انحرافاتهم بنحو متكرر في حديثهم مع اصحابهم، ... غير اننا لانجد أي حديث يعتبر عملية التعريب تلك بدعة او انهم قالوا مثلاً بأن تعريب علوم الامم الكافرة كاليونان والروم والهند وفارس، يشكل احد المشاريع التخريبية لبني العباس، مع ان ذلك كان يمكن ان يمثل بين العامة افضل سبيل لمحاربة الخلفاء العباسيين، غير اننا لانجد ولو في نموذج واحد، ان ذلك اعتبر بدعة او عملاً مخالفاً للاسلام)[3].

ان هذه السنة الحسنة التي عبر عنها منهج السعي الى الإفادة من سائر مصادر العلم، كانت تتعاهد دوماً وتعزز فراح المسلمون يقبلون على مختلف العلوم والمعارف حيثما وجدوها ولم يبدوا أي لون من التعصب في هذا المجال، وقد تمكنوا بذلك ان يحيطوا في مدة وجيزة بمعظم علوم ذلك العصر وقاموا بإعادة انتاجها في اطار اسلامي وباشروا الاضافة عليها والاسهام في تطويرها، ويقول

---

(١) محمدباقر الأسترآبادي المعروف بميرداماد (ت ١٠٤١) فقيه إمامي، فيلسوف و أستاذ صدرالدين الشيرازي (ع).

(٢) الميرداماد، محمد باقر. التعليقة على الكافي، قم: سيد جمال الدين ميردامادي، ١٤٠٣ هـ ص ١٧١.

(٣) مطهري، مرتضى، تعليم وتربيت در اسلام (التربية والتعليم في الاسلام)، طهران: انتشارات صدرا، ١٩٨٩، ص ٢٧٨.

جرجي زيدان: (ولذلك فقد كان التساهل في عصر النهضة العباسية شاملاً على الخصوص أهل الخلفاء وأهل الوجاهة والعلم . ولم يكن العالم المسلم يستنكف أن يأخذ العلم عن النصراني، حتى الفارابي الفيلسوف الكبير فقد اخذ بعض علمه عن أحد نصارى حران، وكان النصارى من الجهة الأخرى لايستنكفون من قراءة التوراة و الإنجيل على فقيه مسلم)[1].

عاصر ابوريحان البيروني السلطان محمودا الغزنوي وولده مسعوداً، وسافر الى الهند فخالط اهلها واتقن لغتهم وآدابهم وعلومهم وتعرف على تقاليدهم، وهو يقول حول ذلك في كتاب (تحقيق ماللهند من مقولة) ما مضمونه: (لقد كان من الصعب جداً ان اتولى بحث هذه الامور و تحقيق تلك الغاية ... ولم اتوقف في سبيل جمع الكتب السنسكريتية في بذل الجد والاجتهاد وانفاق الاموال، وكنت اقصد كل موطن اراه مظنة لوجود الكتب، واذهب الى كل ناحية مهما بعدت اذا ما احتملت اني اجد فيها عالماً يمكن ان يعينني على فهم قضية او حل مشكلة، فكنت اما ان ارحل اليه او آتي به عندي)[2].

كما يقول البيروني ايضاً في رسالة (افراد المقال في امر الضلال) التي صنفها في تحديد الاوقات الشرعية، حيث كان يرد على من أبى الافادة من آلة صنعها غير المسلمين: (فحملتهُ جهالتهُ على ان ختم الامر بانّه لايقبل شيئاً معمولاً على شهور الروم ولايستجيز ادخاله المسجد وليس القوم بمسلمين . فقلت له ، فالروم ايضاً يأكلون الطعام ويمشون في الاسواق فلا تتشبّه بهم فيهما ولمّا لم ينجع فيه التبصير والتعليم قابلته بما استخفه بالداء الذي لا دواء له و

---

(١) زيدان، جرجي، تاريخ التمدن الإسلامي، الجزء الثالث، القاهرة، دارالهلال، ١٩٥٨ ص١٨٥.

(٢) بررسي هايي در باره ابوريحان بيروني به مناسبت هزاره ولادت او (دراسات حول البيروني في ذكراه الالف). طهران: شوراي عالي فرهنك وهنر، ١٩٧٣ ص١٩.

رأيت ترك الاحتساب بتلك الآلة)[1].

ان احدى الخصائص المهمة للثقافة والحضارة الاسلامية، هي انفتاحها على معارف الآخرين وسعيها لاعادة انتاج تلك المعارف في الاطار الذي ينسجم مع عقيدة التوحيد، ومما يلفت النظر ان الاسلام، وفي الوقت الذي عارض تبعية المسلمين لغيرهم، لم يلاحظ ذلك فيما يرتبط بتحصيل العلوم والمعارف، فهو يوصي بأخذها من جميع مصادرها، ولذلك لم يكن العلماء المسلمون خلال قرون الهجرة الاولى يتمتعون بمفردهم بالاحترام والتعظيم بل ان غير المسلمين من اهل العلم حظوا بذلك ايضاً، وحين توفي ابو اسحاق الصابئي وزير عز الدولة الديلمي، وقد كان من ابرز ادباء عصره الى جانب انكاره للرسالات السماوية، فإن الشريف الرضي نظم قصيدة في رثائه قال فيها[2]:

ما كنت اعلم قبل حطك في الثرى ان الثرى يعلو على الأطـــواد

وحين عوتب على رثائه لغير المسلم اجاب بأنه انما اكبر فضله وكماله.

٤- الاهتمام بالعلماء وتوفير متطلبات البحث العلمي

من العوامل التي ساهمت في ظهور الحضارة الاسلامية، ما ابداه الخلفاء والامراء والوزراء واهل الوجاهة الاجتماعية، من تكريم ورعاية لأهل العلم وما وفروه من امكانيات التدريس والبحث العلمي ومتطلباتهما ونذكر فيما يلي اهم

---

(١) البيروني، ابوالريحان، افراد المقال في امر الضلال، رسائل البيروني. حيدر آباد الدكن: جمعية دائرة المعارف العثمانية، ١٩٨٤، ص ٣٧.

(٢) الرضي، الشريف، ديوان الشريف الرضي، ج ١ (طهران: منشورات مطبعة وزارة الارشاد الاسلامي، ١٤٠٦ هـ)، ص ٣٨١؛ علي دواني، السيد الرضي مؤلف نهج البلاغة (قم: دفتر انتشارات اسلامي، ١٩٦٧)، ص ١٠١-١٠٢.

المنجزات في هذا المجال:

أ ـ تكريم العلماء:

ترك تأكيد الكتاب والسنة على تعظيم العلماء، اثراً مهماً في ذلك العصر الذهبي وقد حظي بذلك حتى علماء اهل الكتاب، وقد كان رجال الدولة والاكابر في العالم الاسلامي يقربون العلماء ولا يدخرون وسعاً في رعايتهم وتكريمهم، واليك نماذج من ذلك:

ـ حظي البيروني في بلاط السلطان قابوس بن وشمكير بمنزلة رفيعة فكان لايحتاج الى اذن في الدخول عليه[1].

ـ خصص عضد الدولة جناحاً في داره للحكماء والفلاسفة يجتمعون فيه للبحث[2].

ـ حظي علماء الاندلس بمنزلة رفيعة وحازوا احترام الناس، وكانت تعج مدن تلك البلاد بالشعراء والادباء وعلماء الطب والعلوم الطبيعية بالنحو الذي كانت اسماؤهم تملأ ستين صفحة حسب بعض المرويات[3].

ـ اثر الاجتياح المغولي للبلاد الاسلامية، توارى العلماء ولجأوا الى هذه الناحية وتلك، وفي هذه الظروف المأساوية، شجع نصير الدين الطوسي هولاكو قائد المغول على تأسيس مرصد فلكي واتخاذه مركزاً يستقطب العلماء من دمشق والموصل وقزوين وتفليس والبلاد الاخرى، ونجح في جمع علماء ذلك العصر نظير قطب الدين الشيرازي ومحيي الدين المغربي ونجم الدين القزويني

---

(١) الحلبي، علي اصغر، تاريخ فلاسفة ايران، طهران : كتابفروشي زوار، ١٩٨٢، ص ٢٥٦.

(٢) ابن مسكويه رازي، تجارب الامم، ج٦، مصر، شركة التمدن، ١٩١٥، ص ٤٠٨.

(٣) ديورانت، ول، تاريخ تمدن (قصة الحضارة)، عصر الايمان.وكذلك: تمدن اسلامي (الحضارة الاسلامية) طهران، انتشارات اقبال، ١٩٦٤، ص ٢٥٦.

وأثير الدين الأبهري ومؤيد الدين العرضي الدمشقي وغيرهم، وبادر الطوسي ايضاً الى الاتيان بفلكي صيني يدعى فاو مون جي (Fao- Mon- Ji) حيث راح يلقي دروساً في مبادئ اقليدس والمجسطي[1]. وبذل الطوسي جهوداً كبيرة في رعاية العلماء فكان يكرمهم ويقرر لهم عطاء من ريع الاوقاف التي كان يشرف عليها[2]. ويقول عنه مؤيد الدين العرضي في مقدمة الرسالة التي وصف فيها مرصد مراغة: (...ذلك كله باشارة مولانا المعظم والامام الأعظم العالم الفاضل المحقق الكامل، قدوة العلماء و سيد الحكماء، أفضل علماء الإسلاميين، بل والمتقدمين، وهو من جمع الله سبحانه فيه من كافة أهل زماننا من الفضائل والمناقب الحميدة وحسن السيرة وغزارة الحلم وجزالة الرأي وجودة البديهة والاحاطة بسائر العلوم ، فجمع العلماء اليه، وضم شملهم بوافر عطائه. وكان بهم ارأف من الوالد على ولده، فكنا في ظله آمنين، وبرؤيته فرحين[3].

ب ـ العون المالي للعلماء

كان تأمين المتطلبات المادية للعلماء والهبات التشجيعية التي يتلقونها، من الانجازات الاخرى التي نلاحظها في الاوساط العلمية والادبية خلال ذلك العصر، ومن أمثلة ذلك:

ـ كان سيف الدولة الحمداني يخصص للفارابي عطاء قدره اربعة دراهم كل يوم[4].

---

(١) نصر، سيد حسين، علم و تمدن در اسلام (العلم والحضارة في الاسلام)، ترجمة احمد آرام. طهران: نشر انديشه ١٩٧١، ص ٧٠.

(٢) هماني، جلال الدين، تاريخ علوم اسلامي، طهران: سازمان قلم، ١٩٨٤، ص ١٣٨.

(٣) نعمة، الشيخ عبدالله، فلاسفة الشيعة، حياتهم و آراؤهم، بيروت، مكتبة الحياة، ١٩٣٠، ص ٤٨٥.٦.

(٤) ابن ابي اصيبعة، عيون الانباء في طبقات الاطباء. بيروت: دار مكتبة الحياة، ١٩٦٥ ص ٦٠٤.

ـ منح السلطان مسعود الغزنوي للبيروني جائزة لقاء تأليف كتاب (القانون المسعودي) فأرسل له حمولة كبيرة من الفضة، غير أن البيروني اعاد ذلك الى بيت المال معتذراً بأنه ليس في حاجة اليه[1].

ج ـ المعونات المالية للطلاب:

ـ بنى الشريف الرضي داراً عرفت بدار العلم وخصصها للباحثين والطلاب الذين وجدوا فيها كل ما يحتاجونه[2].

ـ اثناء الانشغال ببناء مرصد مراغة كان نصير الدين الطوسي يقدم المعونة لطلاب العلم بشكل مستمر، وحيث ان علوم الفلسفة والطب كانت مهجورة في الغالب وتدرس بشكل نادر في الخفاء، فإنه خصص لطلابها عطاء اكثر مما شجع العديدين الى الاقبال عليها.

د ـ تاسيس المدارس:

ـ اسس المأمون العباسي بيت الحكمة وجمع فيه المترجمين حتى اصبح تعريب المصنفات العلمية جزأ من سياسته العامة وقد خصص لذلك ما يلزمه من المبالغ.

ـ اسس الفاطميون الجامع الأزهر في مصر، واتاحوا فيه لسائر اصحاب المذاهب ان يقوموا بتدريس كتبهم، وخصصوا العطايا الكافية للعلماء.

مثلت المدارس الاسلامية في الاندلس نقطة تواصل بين اوربا والعالم الاسلامي، وتلقى العديد من علماء اوربا دراساتهم فيها، مثل غليبرت الذي نصب أبا للكنيسة عام ٣٨٨هـ / ٩٩٩م[3].

---

(١) صفا، ذبيح الله، احوال و آثار ابوالريحان البيروني. طهران: انتشارات اداره كل نكارش وزارت فرهنك وهنر، ١٩٧٣، ص ٥٧.

(٢) القرشي، مصدر سابق، ص ٢٣١.

(٣) الدفاع، علي عبدالله، الموجز في التراث العلمي العربي الاسلامي. نيويورك: جون وايلي واولاده، ١٩٧٩، ص٢١٦.

هـ ـ وفرة المكتبات:

ـ اسس ابو القاسم الموصلي مكتبة في الموصل كان يقصدها الطلاب من اماكن بعيدة، وكانت توفر لغير ذوي الكفاية منهم اوراقاً ومعونات مالية[١].

ـ اسس الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام ٣٩٥هـ مكتبة عظيمة في القاهرة عرفت ببيت الحكمة ولم يكن لها نظير في العالم، ويرتادها شرائح مختلفة من الناس للمطالعة ونسخ الكتب او تحصيل العلوم، وكانت توفر للجميع الحبر والورق[٢].

ـ كان ياقوت الحموي في حوالي عام ٦١٦ هـ في مدينة مرو قبيل اجتياح المغول لها، وقد كتب في وصف تلك المدينة: (وتركتها أنا في سنة ٦١٦ هـ على أحسن مايكون، و بمرو جامعان للحنفية والشافعية يجمعهما السور وأقمت بها ثلاثة اعوام ولولا ما عَرَا في ورود التتر إلى تلك البلاد وخرابها لما فارقتها إلى الممات، لما في أهلها من الرِّفد ولين الجانب وحُسن العشرة وكثرة كتب الاصول المتقنة بها، فإني فارقتها وفيها عشر خزائن للوقف لم أر في الدنيا مثلها كثرة وجودة)[٣]. ينقل اليعقوبي انه كان في عصره (٢٧٨هـ) اكثر من مائة حانوت للوراقين (باعة الكتب) في بغداد، وكان يتم هناك نسخ الكتب والاتجار بها، كما احتوت معظم المساجد على المكتبات التي تفتح للدارسين[٤].

---

(١) غنيمة، عبدالرحيم، تاريخ دانشكاه هاي اسلامي (تاريخ الجامعات الاسلامية)، ترجمة نورالله كسائي. طهران: انتشارات يزدان، ١٩٨٥، ص ٩٢.

(٢) م. ن. ص ٩٤-٩٥. [الطبعة العربية، تطوان، المغرب ١٩٥٣].

(٣) غنيمة، مصدر سابق، ص ٢٠.

(٤) ديورانت، مصدر سابق، ص ٣٠٤.

و ـ الاوقاف لترويج العلم:

فقد مثلت الاوقاف المصادر الاساسية لرعاية المعاهد الدينية والعلمية، وأوقف العديد من الاثرياء املاكهم في سبيل الخير وخدمة العلم، ويقول بروكلمان في (تاريخ الدول الاسلامية) مامضمونه : (اقتفى الاثرياء في سوريا ومصر أثر نظرائهم في العراق، فكانوا يوقفون عقاراتهم في سبل الاحسان وخدمة العلوم،حفاظاً عليها من المصادرة)[1]. كذلك فإن العديد من الوزراء ورجالات الدولة كانوا يخصصون اوقافاً في هذا المجال[2] [3].

ه ـ الشعور بالعالمية عند العلماء المسلمين

كان العلماء يعدون كافة مناطق العالم الاسلامي وطناً لهم، وحين كانوا يعرضون عن مكان ما او يرغبون بلقاء استاذ او قصد مدرسة فإنهم ينتقلون بيسر من مكان لآخر ويعدون نشاطهم فيها خدمة في نطاق دار الاسلام، وفي ضوء هذا الشعور تحملوا متاعب الهجرة لتحصيل المعارف الى كل مكان يلائم اجواء الدرس والبحث العلمي، وذكر شلبي في (تاريخ التربية الإسلامية) : (وقد استجاب الطلاب المسلمون لهذه الدعوة، وهبوا يسافرون لطلب العلم، في عهدٍ كان السفر شاقاً والرحلات مُجهدة، اذلم تكن هناك طرق معبَّده، ولا قبائل منتظمة، ولكن الطلاب لم يأبهوا بعناء، ولم يخشوا جهداً، بل خرجوا فرادى وجماعات يسعون في عزم قوي، ومثابرة فائقة، و بدا لهم ذلك العالم الاسلامي

---

(١) غنيمة، مصدر سابق ص ٣٠٤.

(٢) شلبي، احمد، تاريخ التربية الاسلامية، بيروت، دارالكشاف للنشر والطباعة والتوزيع، ١٩٥٤، ص ٣٦٢.

(٣) مدرس رضوي، محمد تقي، احوال وآثار نصير الدين. طهران: انتشارات بنياد فرهنك ايران، ١٩٧٥ ص٤٩.

المترامي الاطراف وكأنه قطر واحد، و ندر ان احسّ عراقي بمصر، او أندلسي بالشام انَّه غريب)[1].

لم يكن خيار التنقل صعباً اذا لم يكن المكان مناسباً للبحث العلمي، فأبو الريحان البيروني المولود في خوارزم، امضى مدة في بلاط قابوس بن وشمكير، واخرى عند الأمير عباس المأمون [صهر خوارزمشاه]، وثالثة مع السلطان محمود والسلطان مسعود الغزنويين، وفي تلك العصور لم تكن الخلافات السياسية بين الحكام او العصبيات القومية لتمنع من تنقل العلماء، ويقول آدم متز في (الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري): (وكان المسلم يستطيع أن يرتحل في داخل حدود هذه المملكة في ظل دينه وتحت رايته، وفيها يجد الناس يعبدون إلاله الواحد الذي يعبده، ويصلّون كما يصليّ، وكذلك يجد شريعة واحدة وعرفاً واحداً، وعاداتٍ واحدة . وكان يوجد في هذه المملكة الإسلامية قانون عملي يضمن للمسلم حقَّ المواطن، بحيث يكون آمنا على حريته الشخصية أن يمسَّها احد، وبحيث لايستطيع أحد أن يسترقّه على أي صورة من الصور. وقد طوّف ناصرخسرو في هذه البلاد كلها في القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) دون أن يلاقي من المضايقات ما كان يلاقيه الألماني الذي كان ينتقل في ألمانيا في القرن الثامن عشر بعد المسيح (عليه السلام).[2]

وتعكس التسهيلات التي كانت تقدم للسواح المسلمين طبيعة الجو السائد آنذاك بشكل جيد، على النقيض مما نلاحظه اليوم حيث ان العالم في زماننا هذا يواجه العديد من العقبات اذا رغب في السفر من مكان الى آخر في البلاد

---

(١) شلبي، مصدر سابق، ص ٣٠٨.

(٢) متز، آدم، الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري، المجلد الاوّل، بيروت، دارالكتاب العربي، ١٩٦٧ ص ٢٢.

الاسلامية، وهو يتحسس الغربة فيها، ويقول ابن بطوطة في اخبار رحلته: (وانصرفنا الى مدينة أرض الروم وهي من بلاد ملك العراق كبيرة الساحة خربه اكثرها بسبب فتنة وقعت بين طائفتين من التركمان بها ويشقها ثلاثة أنهار وفي أكثر دورها بساتين فيها الاشجار والدوالي ونزلنا منها وبزاوية الفتى أخي طومان وهو كبير السن، يقال انه أناف على مائة وثلاثين سنة ورأيته يتصرف على قدميه متوكئاً على عصا ثابت الذهن مواظباً للصلاة في أوقاتها لم تنكر من نفسه شيئا إلا أنه لايستطيع الصوم، وخدمنا بنفسه في الطعام وخدمنا أولاده في الحمام وأردنا الانصراف عنه ثاني يوم نزولنا فشق عليه ذلك وأبى منه وقال: ان فعلتم نقضتم حرمتي وإن أقل الضيافة ثلاث فاقمنا لديه ثلاثة)[1].

٦ـ روح التسامح

تحولت الحواضر الاسلامية الى ملتقيات كبيرة للجدل العلمي والكلامي الذي ادى الى تكامل مختلف العلوم والمعارف، وقد قامت سيرة اكابر المسلمين على قبول الحوار الحر مع الاديان الأخرى فتعاملوا مع غيرهم على اساس مفهوم الجدل القرآني بالتي هي احسن وهو ماساهم في نجاحهم في استقطاب الآخرين، وفي ضوء من روح التسامح هذه تحقق اسهامهم الى جانب المسلمين في مجالات الابداع العلمي. يقول جرجي زيدان: (ومن العوامل الفعالة في سرعة نضج العلم في النهضة العباسية، وكثرة ما ترجم في تلك المدة القصيرة، أن الخلفاء أصحاب تلك النهضة كانوا يبذلون كل مرتخص وغال في سبيل نقل الكتب، ويرغبون النقلة وغيرهم بالبذل والاكرام والمحاسنة، بقطع النظر عن مللهم أو نحلهم أو أنسابهم ، وقد كان فيهم النصراني واليهودي والصابي

---

(١) من رحلة ابن بطوطة، الجزء الاول، قاهرة، المطبعة الازهرية بمصر، ١٩٢٨، ص ١٩٠.

والسامري والمجوسي. فكان الخلفاء يعاملوتهم كافة بالرفق والاكرام، مما يصح أن يكون مثالاً للاعتدال والحرية وقدوة لولاة الأمور في كل العصور) .[1]

ويضيف كذلك (و لم تكن تلك المحاسن خاصة بالنهضة العباسية، بل كانت تتناول كل دولة نهضة للعلم، فالدولة الفاطمية بمصر كان اكثر أطبائها من النصارى واليهود والسامريين، وكانت لهم عندهم منزلة الاطباء في الدولة العباسية، فكانوا يغدقون عليهم الاموال، ويولونهم الوظائف والمناصب ويستشيرونهم ويكرمونهم ويلقبونهم بألقاب الشرف، كسلطان الحكماء وأمين الدولة ومعتمد الملك و يخاطبونهم كما يخاطبون الأمراء و الوزراء)[2].

ويقول آرنولد في كتابه (الدعوة الى الإسلام) (ومن هذه الامثلة التي قدمناها آنفاً عن ذلك التسامح الذي بسطه المسلمون الظافرون على العرب المسيحيين في القرن الاول من الهجرة، واستمر في الأجيال المتعاقبة، تستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام أنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة، وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة شاهد على هذا التسامح)[3].

وكنموذج على ذلك نلاحظ أن دولة الحمدانيين الشيعية كان يعيش فيها في ظروف الدعة والأمن ليس ابناء المذاهب السنية وحسب وانما تمتع اهل الذمة بمختلف الحقوق الاجتماعية وحافظوا على لغاتهم الاصلية (الآرامية والسريانية)، وكان لهم حضور واسع فيما يرتبط بالشأن الاجتماعي العام او المجالات العلمية

---

(١) زيدان، مصدر سابق، ص ١٨٣.

(٢) م. ن. ص ١٨٦.

(٣) طبارة، عفيف عبدالفتاح، روح الدين الاسلامي. بيروت: دارالعلم للملايين، ب. ت، ص ٢٨٨

والأدبية المتنوعة[1]. وبالطبع فإنه لا يمكن تعميم ذلك الظرف النموذجي على سائر بلاد الاسلام وعبر مختلف المراحل التاريخية، بل اننا نلاحظ دائماً وجود ممارسات تنبع من أفق ضيق.

يتمثل احد العوامل المهمة التي لعبت دوراً في كساد سوق العلم في بلاد الاسلام خلال القرون التالية، بغياب روح التسامح وسيادة الافق الضيق على مواقف المسلمين ازاء بعضهم وازاء الامم الاخرى، الامر الذي ادى الى ظهور سنة التكفير والرمي بالانحراف بين العلماء والفلاسفة وحتى اصحاب المذاهب الاسلامية، وهو ما حال دون تواصل الحوار وتحقيق التكامل المعرفي اللازم مما تسبب في تراجع مسار التنمية العلمية. ويجدر ان نشير الى ان روح التسامح وسعة الصدر كانا يعدان سائغين ضمن المستوى الذي لايعرض كيان الدين للخطر وحسب.

٧ـ اتباع البرهان

حذر الاسلام اتباعه من التقليد الأعمى للآخرين والتعصب غير المبرر وحثهم على اعتماد البرهان والدليل: ﴿ولا تقف ماليس لك به علم﴾ الاسراء ٣٦، ﴿واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا، أو لو كان اباؤهم لايعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ البقرة ١٧٠، ودعا القرآن الكريم الكفار ـ حتى وهو في صدد الرد عليهم ـ الى الاتيان بالبرهان ﴿ومن يدع مع الله الهاً آخر لابرهان له...﴾ المؤمنون ١١٧، ﴿أإله مع الله قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين﴾ النمل ٦٤، ﴿ولاتجادلوا اهل الكتاب الا بالتي هي احسن﴾ العنكبوت ٤٦. وقد

---

(١) الشكعة، مصطفى، سيف الدولة الحمداني، او مملكة السيف و دولة الاقلام. بيروت، عالم الكتب، ١٣٧٩ هـ ص ١٦٩-١٧٠ و ٢٢٣-٢٢٥.

حدد الامام الصادق(ع) في تفسيره لهذه الآية الشريفة مفهومي الجدال بالتي هي أحسن، والجدال بغير الأحسن [1]، فالأخير يعني اننا نجادل الخصم ونرده دون برهان او ان ننكر حقاً له مخافة ان يستخدمه في إفحامنا، ونحن في هذه الحال سنصبح على شاكلته فهو قد انكر حقا بينما انكرنا نحن حقا آخر.

وقد راج البحث الحر والمفتوح بين المسلمين في ضوء اتباعهم لهذا المنطق في قرون الهجرة الاولى، على اختلاف انتماءاتهم المذهبية وكذلك بين العلماء المسلمين ونظرائهم من الأديان الاخرى، ولذلك فإن نماذج، من قبيل ابن ابي العوجاء الزنديق، كانوا يعيشون بين المسلمين ويطروحون شبهاتهم فيكتفي المسلمون بدفعها عبر الدليل العلمي. وقد تحدث الامام علي مرة في خطبة له فقال: (سلوني فإني لا أسأل عن شيء دون العرش الا وأجبت فيه) فقام احد اليهود وصاح قائلاً: (ايها المدعي، مالا يعلم والمقلد مالا يفهم، انا السائل فأجب)، فوثب بعض المسلمين ليعيده الى مكانه الا ان الامام اشار لهم قائلاً: (دعوه ولاتعجلوه! فان الطيش لاتقوم به حجج الله ولا به تظهر براهين الله)[2] ثم دعاه الى قول ماالديه. وينقل العلامة المجلسي ان المفضل بن عمر قصد المسجد النبوي للصلاة، وكان ابن ابي العوجاء قد جلس في ناحية منه ومعه بعض اصحابه، وراح يتفوه بما لا يليق بشأن الله تعالى ورسوله(ص) ويسخر من المعاد، فغضب المفضل وزجره فقال له ابن ابي العوجاء: (يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك، و إن لم تكن منهم فلا كلام لك، و إن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكذا يخاطبنا، ولا بمثل دليلك يجادلنا، ولقد سمع من كلامنا أكثر ممّا سمعت، فما أفحش في خطابنا ولا تعدى في جوابنا ، وأنه للحليم الرزين

---

(١) الطبرسي، احمد، الاحتجاج، ج ١ مشهد المقدسة: نشر المرتضى، ب. ت، ص ٢٢-٢١.

(٢) المجلسي، مصدر سابق، ج ٥٧، ص ٢٣١-٢٣٢.

العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا ويصغي إلينا ويستعرف حجتنا حتى استفرغنا ما عندنا وظننا أنا قد قطعناه أدحض حجتنا بكلام يسير وخطاب قصير يلزمنا به الحجة ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من اصحابه فخاطبنا بمثل خطابه)[1].

وتعكس هذه النماذج طبيعة تفوق علماء الاسلام وتحدد السبيل الذي يلزم المسلمين اتباعه، أي التعامل في ضوء ما يقرره الدليل، وقد تواصلت هذه السنة الحسنة لتتحول تدريجياً الى بحوث كلامية كان لها اسهام كبير في تعزيز الحركة العلمية مما حفز حتى الامراء والوجهاء على المشاركة في تلك الحوارات أو دعمها وتشجيعها، وهو مالعب دوراً في تعزيز موقع العلوم العقلية.

لقد اعتقد الفلاسفة والعلماء المسلمون في ذلك العصر بأن معيار الفرز بين الحق والباطل هو البرهان ويصرح ابن سينا بذلك قائلاً: (من تعود ان يصدّق من غير دليل فقد انسلخ عن الفطرة الانسانية)[2]. وقال شيخ الأشراق في التلويحات: (ولا تقلدني وغيري، فالمعيار هو البرهان)[3] كما يتضح ذلك مما ختم به البيروني كتاب الآثار الباقية حيث كتب : (ولنختم آخر الكتاب بحمد الله الذي نصر وهدى واوضح سبيل الرشد من العمى ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة)[4]، وقال ابن رشد: (واذا كان هذا هكذا، فقد يجب علينا أن ألفينا

---

(١) م. ن. ج ٣، ص ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) الشيرازي، صدرالدين، الحكمة المتعالية في الاسفار الاربعة العقلية، ج ١ بيروت: دار احياء التراث العربي، ص ٣٤٦.

(٣) السهروردي، شهاب‌الدين يحيى، مجموعة مصنفات شيخ الاشراق، ج ١ طهران : مؤسسة مطالعات وتحقيقات فرهنكي، ١٩٩٣ ص ١٢١.

(٤) البيروني، ابوالريحان، الآثار الباقية عن القرون الخالية (لايبزك: Morgenl Gesellschaft Deutsche، ١٩٢٣) ص ٣٤٢.

لمن تقدمنا من الامم السابقة نظراً في الموجودات واعتباراً لها بحسب ما اقتضته شرائط البرهان أن ننظر في الذي قالوه من ذلك وما اثبتوه في كتبهم : فما كان منها موافقاً للحق قبلنا منهم وسررنا به، وشكرناهم عليه، وما كان منها غير موافق للحق نبّهنا عليه وحذرنا منه وعذرناهم)[1].

٨ـ هاجس البحث عن الحقيقة

من خصائص الاسلام البارزة انه جعل الحق فوق كل شيء وأوجب على المسلمين ان لاتأخذهم فيه لومة لائم وان يتبعوه حتى اذا كان في غير صالحهم وقال تعالى في كتابه: (ومن اظلم ممن افترى على الله كذباً او كذب بالحق لما جاءه) العنكبوت ٦٨، وورد في الحديث النبوي الشريف: (في القلب نور لا يضيء الا من اتباع الحق)[2]. وكان الصادق(ع) يقول: (ان من حقيقة الايمان ان تؤثر الحق وان ضرك، على الباطل وان نفعك)[3]، وقد أفرد العلامة المجلسي في بحار الانوار (الجزء ٧٠ من الطبع الحديث) باباً تحت عنوان (ايثار الحق على الباطل والأمر بقول الحق وان كان مراً)، وقد نالت توصية الاسلام هذه باتباع الحق وممارسة التقييم في ضوئه، اهتمام العلماء المسلمين منذ اوائل نشوء الحضارة الاسلامية، حيث اكد عليها اكابر العلماء والفلاسفة وذكروا ان الاساس الذي تقوم عليه بحوثهم العلمية هو اتباع الحق، كما حثوا الآخرين على ذلك. يقول ابو يعقوب الكندي: (وينبغي ان يكون غرضنا اقتناء الحق من اين اتى، فإنه

---

(١) ابن رشد، محمد، فصل المقال في تقرير ما بين الحكمة و الشريعة من الاتصال، بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٦١، ص ٣٣.

(٢) المجلسي، مصدر سابق، ج ٢ ص ٢٦٥.

(٣) م. ن. ج ٧٠، ص ١٠٦.

لاشيء اولى بطالب الحق من الحق)[1]، ويقرر الفارابي في كتاب (ماينبغي ان يقدم قبل تعلم الفلسفة) انه ينبغي ان يكون استاذ الفلسفة حلو المعشر تقياً زاهداً في الشهرة، فلا تكون شهرته الا في تحرّي الحقيقة والاشتغال بالعلم، ويلزمه ان يألف قياس ارسطو حتى يكون موجهه لا انه يؤثره على الحق، ولا ينبغي له ان ينفر منه كيلا تقوده هذه الخصلة الى تكذيب الحق [2].

ويقول ابو الفضل البيهقي: (في اشتغالي بالتاريخ، حرصت على ان لا ادون سوى ما شاهدته بنفسي او سمعته من ثقة)[3]، ويقول ابو الريحان البيروني (في كتاب تحقيق ماللهند من مقولة): (صنفت هذا الكتاب حول عقائد اهل الهند، ورغم انهم مخالفون لنا في الديانة، فإنني لم اعارض ما وجدته حقاً عندهم، ولم اكن اظن ان ايراد تفصيل اقوالهم حيثما تمس الضرورة، يخالف ايماني وتديني. واذا كانت تلك الاقوال من الكفر أو أن اهل الحق يرون فيها نظراً، فإننا نقول انما هي عقائد أهل الهند...)[4]. ويتركز نقد البيروني للهنود في انهم كانوا يجعلون الأساس في قبول الآراء ورفضها هو مقدار انسجامها مع معتقداتهم [5]، وهو يعتبرهم مصداقاً للآية الكريمة ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا..﴾ يونس ٣٩.

ورغم ان البيروني لم يكن على استعداد للتسليم بطبيعيات ارسطو عبر التقليد

---

(١) فخري، ماجد، تاريخ الفلسفة الاسلامية، ترجمة كمال اليازجي. بيروت: الجامعة الامريكية، ١٩٧٩ ص ١١١.

(٢) الحلبي، مصدر سابق، ص ١٠٦.

(٣) البيهقي، ابوالفضل، تاريخ البيهقي، تصحيح علي اكبر فياض. طهران: انتشارات دانشكاه، ١٩٧٧، ص ٧٠٥.

(٤) نصر، مصدر سابق، ص ٢٥١.

(٥) الشابي، علي، زندكي نامه بيروني (حياة البيروني)، ترجمة برويز اذكايي. طهران: انتشارات وزارت فرهنك وهنر، ١٩٧٤، ص ١١٩.

الصرف وكان له في هذا المجال نقاشات واسعة مع ابن سينا نفسه، فإنه عاب على من يرفض المنطق الأرسطي بسبب اخطاء ارسطو الأخرى[1].

كما أن نصرالدين الطوسي و في خاتمة كتابه مصارع المصارع الذي مثل رداً على كتاب مصارع الفلاسفة لمحمد بن عبد الكريم الشهرستاني، يصرح بانه (لم يكن قصد محرّر هذه الاوراق نصرة ابن سينا، ولا كسر المصارع، بل كان قصده سلوك طريق الحق والانصاف وان يظهر به حقيقه الحال في هذه المصارعات لئلا يغتر المقلدون، بقول من يدّعي شيئاً لايقدر على بيان مايدعيه تشوقاً وتصلفاً واراءة ماليس في نفسه)[2].

٩ ـ الطابع الشمولي والاطار الموحد للعالم

يعتقد المفكرون المسلمون ان الله عز وجل هو مصدر جميع المعارف، لذلك فقد آمنوا بوجود وحدة عضوية بينها ولم يروا انفصالاً بين علوم الطبيعة وعلوم الدين الخاصة فعدوها تتحرك جميعا نحو هدف واحد، حيث ان علوم الطبيعة تدلل على الاطار الموحد للكون مما يعكس وحدة مبدئه وهو ذات الهدف الذي تسعى الاديان الى تحقيقه. ولأجل ذلك كانت جميع العلوم تدرس عند المسلمين في مكان واحد، وتخصص بعض المسلمين في علوم مختلفة فجمعوا بين الفلسفة والطبيعيات والعلوم الدينية وتركوا مصنفات في كل هذه الحقول، فقد ألف الكندي في الرياضيات والفلك والطبيعيات والفلسفة وكتب تفسيراً للقرآن، كما ترك ابن رشد اعمالاً في الفلسفة والطب والفقه الاسلامي.

---

(١) م. ن. ص ٨٩

(٢) الطوسي، نصيرالدين، مصارع المصارع. طهران : مكتبة آية الله المرعشي العامة، ١٤٠٥ هـ ص ٢٠١ ـ ٢٠٢.

وكانوا يعتقدون بأن غاية العلوم الطبيعية تكمن في انها تدلل على وحدة الموجودات، اذ أن الوحدة وطبيعة الارتباط بين مراتب الوجود المختلفة تمثل اساساً للعقيدة الاسلامية، ويكتب اخوان الصفا في بعض رسائلهم: (وبالجملة ينبغي لاخواننا، ايّدهم الله تعالى، ان لا يعادوا علماً من العلوم، او يهجروا كتاباً من الكتب، ولا يتعصبوا على مذهب من المذاهب، لان رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلّها، ويجمع العلوم جميعها، وذلك انّه هو النظر في جميع الموجودات باسرها الحسية والعقلية، من اوّلها الى آخرها، ظاهرها وباطنها، جليّها وخفيها، بعين الحقيقة من حيث هي كلّها من مبدأ واحد، وعلّة واحدة، وعالم واحد، ونفس واحدة محيطة جواهرها المختلفة، واجناسها والمتباينة وانواعها المفنّنة، وجزئياتها المتغايرة)[1].

وبخلاف الاتجاهات العلمية المعاصرة التي تولي الاهمية للبعد الرياضي في القضايا او تركز على ميادين علمية محدودة، كان يسعى العلماء المسلمون الى الربط بين مختلف العلوم لتقديم مفهوم منسجم عن الطبيعة، وتذكرنا الدراسات المعاصرة التي تحاول الجمع بين اكثر من اختصاص، مما راح يتنامى في الاعوام الاخيرة، بتلك المحاولات التي تركها المسلمون في هذا المجال. ولم يرفض المسلمون الفصل بين علوم الطبيعة والدين وحسب، وانما لم يمثل جهدهم في الطبيعيات استنتاجات سريعة بل كانوا يهدفون بذلك الى تفسير العالم الطبيعي، الأمر الذي دفعهم الى الاهتمام بالعلوم التي لم يكن لها آنذاك معطيات مادية او عملية ملحوظة كذلك، نظير ما يحصل في اوربا وامريكا اليوم، حيث نرى ان للعلوم المحضة موقعها المهم لا كما يظن البعض من ان الملحوظ هو الآثار

---

(١) رسائل اخوان الصفا و خلاّن الوفاء، ج ٤، قم، المكتب الاعلام الاسلامي، ١٤٠٥، ص ٢-٤١

العملية السريعة للعلم وحسب، ورغم ان البعض كان يتردد في جدوى قسم من العلوم النظرية ويعد الجغرافيا الرياضية مثلاً فرعاً لاطائل منه، غير ان ذلك المنطق لم يكن يعبر عن موقف إجماعي حيث ان شريحة من العلماء لم تختزل معيار المعارف النافعة فيما كان له آثار مادية فقط.

١٠ ـ اجتهاد العلماء المسلمين في تحصيل العلم

ان من العوامل الاخرى التي تركت اثرها في النهضة العلمية للمسلمين، هو ما عرف به العلماء من بذل الوسع وتحمل المشاق الشديدة، اتباعاً لدعوة الاسلام وحثه على الاهتمام بالعلم (من المهد الى اللحد)، فلم يدخر المسلمون وسعاً في سبيل تحصيل استاذ او معالجة اشكالية علمية او فلسفية ولم تحل دون ذلك ظروف البيئة ولا الشيخوخة ومتاعبها* كما نرى في حياة الرازي [١]، ابوريحان البيروني و المسعودي [٢].

النتيجة

منذ النصف الثاني من القرن الثاني الهجري وبعد ترجمة الكتب العلمية في الرياضيات والطبيعيات في دار الاسلام، استطاع المسلمون استيعاب العلوم التي توصلت اليها الحضارة اليونانية والهندية والفارسية بسرعة وأضافوا إليها أيضاً.

ثمة عوامل ـ ذكرناها ـ كانت السبب في الاهتمام بالعلوم والمعارف

---

* يذكر المؤلف هنا عدة امثلة على ذلك، غير اننا تركناها للاختصار، وقد زخرت كتب التراجم والرجال بنماذج كثيرة تلفت النظر الى ما تمتع به علماء المسلمين من مثابرة وسعي دؤوب في نشاطهم العلمي (المترجم).

(١) نعمة، عبدالله، مصدر سابق ص ٣١٣.

(٢) علي الشابي،س مصدر سابق ص ١٢٢.

المختلفة في العالم الاسلامي و تنميتها وتوسيع دائرتها. وعندما توقف الاهتمام بالعلوم النظرية والعقدية حتى حوربت من قبل بعض الخلفاء ـ لأسباب مختلفة ـ توقف النمو والاهتمام بالعلوم الطبيعية ايضاً.

ولكن عندما بدأ غروب العلم في حواضر العالم الاسلامي اهتم العالم الغربي بهذه العلوم وسعى في تنميتها الأمر الذي أدّى للوصول الى مانراه من الصناعات والتقنية الحديثة، والتي يحتاج إليها الجميع بما فيه العالم الاسلامي.

واليوم وبعد أن بدأت بوادر النهضة وحركة التأصيل الاسلامي، لابد من دراسة عوامل ظهور وأفول الإبداع العلمي عند المسلمين، دراسة موضوعية وعميقة حتى نستطيع اكتشاف معوقات التنمية العلمية في دارالاسلام، والعوامل المطلوبة لظهور حضارة اسلامية جديدة ملائمة لإمكانات الحاضر ومتطلباته.

الفصل الخامس

مشروع الوحدة
بين الحوزة العلمية والجامعة



١- التجربة الايرانية في مشروع الوحدة: الدواعي والمبررات

نمتلك اليوم نوعين من المؤسسات العلمية في البلاد: الحوزة العلمية الدينية والجامعات الحديثة، ونريد بالحوزة المركز الذي يتمثل هدفه الأساسي في تدريس العلوم الاسلامية والبحث حول الكتاب والسنة، ونريد بالجامعات المؤسسة التي تتولى بشكل رئيسي تدريس العلوم الحديثة ورعاية البحث العلمي في هذا المجال لتلبية حاجات المجتمع وتطوير المستويات العلمية. وتتباين في الوضع الحالي مبادئ واهداف هاتين المؤسستين، رغم انهما كانا في الماضي يمثلان مؤسسة واحدة، ففي قرون الهجرة الاولى كان هنالك نوع واحد من المراكز العلمية تدرس فيها العلوم الدينية الى جانب الطبيعيات، وكان ابن سينا والبيروني ونصير الدين الطوسي تلاميذ تخرجوا من تلك المراكز، ثم جاء عصر هجرت فيه علوم الطبيعية في المعاهد تلك ودونما موقف سلبي حيال تلك العلوم في نفسها، فكان هنالك اهتمام بأقسام محدودة منها (كالرياضيات) ضمن المستوى الذي يمثل حاجة الدرس الشرعي، وحين نصل الى القرنين الاخيرين حيث دخلت العلوم الحديثة الى العالم الاسلامي، نجد ان تلك العلوم استقلت في مؤسسات خاصة منفصلة عن مراكز التعليم الديني، ومهدت الطبيعة العلمانية لذلك اللون من المعارف الى تعرض الدين وعلومه الى الاهمال او الاقصاء الكامل احياناً.

وقد ظهر مستويان من مسارات الانحراف في العالم الاسلامي على خلفية غياب علوم الطبيعة عن المقررات الدراسية في معاهد التعليم الديني، الى جانب عدم اطلاع علماء الدين بشكل مباشر على معطيات العلم الحديث:

ـ نتيجة للتطور العلمي الذي شهده الغرب وعدم استيعاب طبيعة تلك العلوم، اعجب البعض بالاتجاهات العلمية الحديثة بشكل غير واعٍ وأرادوا ان يقارنوا بها الكتاب والسنة، ويمثل هذا الاتجاه الاعمال التي تركها طنطاوي والسير احمد خان الهندي في تفسير القرآن، وافرط بعض العلماء المسلمين في ذلك الى حد قالوا فيه بوجود جميع معطيات العلم الحديث بين دفتي القرآن والسنة، وكانو يهدفون عبر ذلك الى اثبات مظاهر للإعجاز في القرآن الكريم والسنة الشريفة.

ـ من جانب آخر راح بعض المفكرين الدينيين يهملون العلم الحديث ويحتقرونه، الأمر الذي ادى بالبعض (كرد فعل معارض) الى الابتعاد عن الدين، وتمخض عن انفصال الاجواء الجامعية بشكل كلي عن معاهد العلوم الدينية وهو ما مهد في الوسط العلمي لتكوين انطباعات لاتتسم بالموضوعية حول نظريات العلم.

اما الآن وقد لاحظنا حجم الخسارة التي تمثلت بإعراض المعاهد الدينية عن العلم الحديث وابتعاد الجامعات وانفصالها عن تلك المعاهد، فمن الضرورة بمكان ان تتم المبادرة الى تلافي ذلك في ذات الوقت الذي نأخذ بنظر الاعتبار طبيعة التخصصات والانشعاب الملفت للنظر في مجال الفروع العلمية، وتدفعنا هذه المشاكل الى التفكير بنحو اعمق قليلاً في تأسيس علاقة بناءة بين هاتين المؤسستين ونقدم مشروعاً للتواصل الايجابي في اطار تلك العلاقة.

٢ـ المقصود بالوحدة

ينبغي ان نحدد مانريده بالوحدة بين الحوزة والجامعة، ونلاحظ في هذا

المجال عدة اتجاهات:

ـ يريد البعض من ذلك اضافة دروس دينية الى المقرر الدراسي في الجامعات، الى جانب دروس في العلوم الحديثة تضاف الى المقرر الدراسي للمعاهد الدينية، فيذهب اساتذة الجامعة لإلقاء دروسهم في الحوزات، ويأتي علماء الدين الى الجامعة لأجل الغرض ذاته، وفي اعتقاد كاتب السطور أن ذلك امر جيد ويمكنه لعب دور مهم في هذا المجال غير أنه لايكفي وحده.

قال آخرون ان على الحوزات ان تستوعب في مقررها الدراسي جميع العلوم الحديثة وفي المقابل تبادر الجامعات الى استيعاب كافة العلوم الدينية، شبيها بما كانت المعاهد والمدارس تشهده في الماضي من شمول لسائر العلوم، غير ان ذلك اذا كان متيسراً في الماضي حيث يمكن لشريحة من العلماء ان يتوفروا على استيعاب المجالين العلمي والديني بمستواهما التخصصي، فإنه يمثل اليوم امراً صعباً للغاية في ضوء التعقيد الذي بلغته العلوم الحديثة والسعة التي امتازت بها، حتى انه ليصعب على شخص بمفرده ان يتخصص في أكثر من فرع في حقل علمي واحد، كما انه ليس من الضروري ان يتلقى طلبة الجامعات سائر المعارف الدينية، او يتوفر طلاب الحوزات على اخذ جميع العلوم الحديثة.

ـ يرى فريق ثالث ان الوحدة المقترحة تعني ان تأخذ الحوزات بالخصائص الايجابية في التعليم الجامعي بينما تكتسب الجامعات الميزات الحسنة في الحوزة، ورغم ان هذا رأي جيد غير انه ليس بالكافي في هذا المجال.

ـ راح اتجاه رابع يؤكد في هذا الاطار على الوحدة السياسية والاجتماعية، أي انه لاحظ الجانب العملي حيث ينبغي لكل منهما ان يفهم الآخر بالقدر الكافي، وان تكون لهما معاً مساعي لتحقيق الاهداف المشتركة في سياق تلبية حاجات المجتمع، ويمكن ان يكون لهم مؤسسات سياسية مشتركة للعمل بشكل موحد في المجال السياسي. وهذا وان كان مطلوباً الا انه غير كافٍ ايضاً.

ـ نلاحظ ان اتجاهاً آخر دعا الحوزة والجامعة الى ان يعتبر كل منهما المجالات التي يعنى بها الآخر ذات ارتباط بشواغله وفي ذات مستواها من الأهمية، دون ان تتميز احداهما بإطار من القداسة ازاء الآخرى وهو ما سيخلق لدى الجامعيين بشكل خاص انطباعاً افضل عن الحوزات العلمية.

ـ قال البعض ان المراد من الوحدة هو ان تعتمد المؤسستان رؤية واحدة ازاء الكون أي ان يضع كل منهما الاهدف الالهية نصب عينيه.

وفي تصورنا ان معنى الوحدة التي نحتاجها هو ان يصبح هدف المؤسستين إلهيا أي ان يتولى كل منهما اعداد كوادر تهدف بشكل اساسي الى تحقيق القرب من الله عز وجل وتسعى في هذا الاطار الى خدمة المجتمع الاسلامي وتعمل على رفعته وتقدمه.

والشأن المهم هنا بعبارة موجزة، هو الوحدة على مستوى الاهداف ويلزم ان نحاول تأمين كافة الظروف والآليات المناسبة لتحقيق ذلك، واذا ادرك هذان الاتجاهان انهما يمتلكان هدفاً واحداً فإننا سنحقق وحدة في المواقف حيال التحديات.

يسود الآن نمطان من الثقافة في هاتين المؤسستين:

أ ـ تدرس العلوم الحديثة في الجامعات مع ما تنطوي عليه من مضامين فلسفية يشكل الاتجاه الوضعي اهم مصادرها، كما اننا في الغالب عيال على الجامعات الغربية فلا نقدم نتاجاً علمياً يفي بالحاجة فضلاً عن ان جهودنا لا تتركز في السعي الى تلبية الضرورات الوطنية.

ب ـ تنشغل المعاهد الدينية بعلومها الخاصة، ولا تعالج فيها حاجات المجتمع الملموسة او حقائق الحاضر.

وقد ادى تباين هذين المسارين بشكل كامل، الى أضرار اجتماعية فادحة ويلزم في سياق توحيد المسارات ان نعمل على تعزيز الجانب المعنوي في

الجامعات وإكسابها ما يروج في الحوزات من دأب واجتهاد، وان تجد توظيفات العلم الحديث طريقها الى الحوزة مع آليات التخطيط والبرامج الجامعية.

ان كلا من رجال الحوزة واساتذة الجامعة يلعبون دوراً مهماً في مشروع الوحدة، اضافة الى دور طلاب الحوزة والجامعيين، ونحن نبتدئ بتوجيه الدعوة الى الحوزات اعتقاداً منا بأنها صاحبة العبء الاكبر في هذا الاطار، علاوة على اننا نترقب من الجامعات الاضطلاع بدور مهم في المجال هذا، حيث ان الجامعات عادة ما تكون علمانية في عصرنا هذا وقد تلقت هيئاتها العلمية تربيتها في ظل ثقافات لا ترى حاجة الى الدين، الامر الذي يجعل من الضروري ان تكون الحوزة هي البادئة، فيما هي لم تحقق حتى الآن القدر اللازم من الخطوات على هذه الطريق.

٣- دور الحوزة العلمية (المعاهد الدينية)

اذا القينا نظرة على جامعات امريكا واوربا وجامعاتنا ايضاً، فسنلاحظ انها تسعى الى اعداد كوادر تلبي حاجات المجتمع، ويتمكن بعضهم احياناً من تحقيق انجازات علمية جديدة، وكنتيجة لهذا الاتجاه، فإن الاشخاص الذين تخرجوا من الجامعات اما انهم انصرفوا الى تحقيق ميولهم الشخصية، او انهم اضافة الى ذلك حاولوا تلبية حاجات مجتمعاتهم، ولا يهمهم إن كان ذلك يؤدي الى الحاق الضرر بالآخرين، وعلى حد تعبير الامام الخميني: (كل آلات الدمار الانساني هذه، والتقنيات المتطورة التي يظنون انهم حققوها في المجال العسكري، يقف وراءها علماء تخرجوا من الجامعات، جامعات لم تكن تخضع للأخلاق...) [1].

---

(١) الخميني، صحيفة النور، ج ١٣. طهران : انتشارات شركت سهامي جابخانه وزارت ارشاد اسلامي، ١٩٨٢ ص٢٠٦.

لايحمل هذا المنهج الذي يسود حالياً معظم المؤسسات الجامعية، مضموناً اسلامياً، حيث ان الانسان في الاطار الاسلامي لايعد موجوداً مادياً صرفاً وانما ينطوي على بعد معنوي به تتحقق انسانيته، وفي ضوء هذا التصور يجب ان تلاحظ الشؤون المادية كأداة لخدمة الجانب المعنوي، الامر الذي يبرر ضرورة تعزيز البعد المعنوي في الاجواء الجامعية وهو ما يتميز بمستويين نظري وعملي، ويرتبط الاول بالتعليم وتنمية الثقافة الاسلامية في الجامعة، ويشتمل الجانب العملي على تزكية النفس ورفع المستوى الاخلاقي للدارسين، اذ أن المضامين الثقافية لاتمتلك بمفردها ضمانات تطبيقية كما ان الايمان المجرد عن المعرفة هو عرضة للزوال، ويمكن للحوزة ان تؤدي في هذين المجالين دوراً مهماً، وعلى خلفية الفراغ الشديد الذي كان يسود الجامعات في الماضي قامت بعض العناصر بأداء هذا الدور في الجامعة بشكل سيّئ باستثناء نماذج قليلة تمتعت بالكفاءة نظير الشيخ مرتضى مطهري.

وقد اهتم بعض اساتذة الجامعة وطلابها بالحوزة بعد الثورة الاسلامية في ايران، ثم اعقب ذلك ادخال بعض الدروس التي عرفت بالحصص العامة التي اشتملت على اصول الدين واللغة العربية والمنطق والتاريخ الاسلامي والتربية الاسلامية، غير ان هذا الدرس لم يكن في شكله او مضمونه يتمتع بالمستوى المطلوب، فقد اشتملت مادة اصول الدين على مباحث فلسفية لم يستوعب طلبة الجامعات عادة مقدماتها الضرورية، اضافة الى ان دروس المعارف الاسلامية تلك غابت عنها موضوعات اساسية كأدب التعليم والتعلم في الاسلام الذي يشمل بيان اهداف العلم، كما ضعف فيها الاهتمام بالقرآن الكريم والسنة الشريفة. ويعتقد كاتب السطور بضرورة ان يطلع طلبة الجامعة على طبيعة اسس البحث الفقهي وآليات الاستنباط ومناهج التفسير، ليدركوا حجم التعقيد الذي

يكتنف عملية الاجتهاد او تفسير القرآن ولا يتعاملوا مع هذه القضية بسذاجة.[1]

لقد تأسست في عدد من البلدان الاسلامية، جامعات اسلامية عالمية، وثمة الكثير من المسلمين ينتظرون ان يلاحظوا جهودنا في مواجهة التحديات الراهنة، ولا يخفى على المعنيين ان رصيدنا يكاد يكون خاليا حالياً. ونعتقد في هذا المجال ان اهم دور للحوزة العلمية اليوم يتمثل بالمبادرة الى وضع مناهج مناسبة لتدريس المعارف الاسلامية في الجامعات، واذا لم تقم الحوزة بملء هذا الفراغ فإن هناك آخرين سيتولون ذلك، وستبتلى الاجيال بأنماط مشوهة من الوعي الديني، وفي علمنا ان بعض علماء الحوزة البارزين ينشطون في هذا المجال غير ان ذلك يظل بحاجة الى مبادرات عامة.

ثمة خطوة اساسية يلزم ان تحققها الحوزة لأجل الاقتراب من الجامعة، وهي ادراج بعض العلوم الحديثة في مقرراتها الدراسية، تلك الدروس التي لاتوجد الا بشكل نادر جداً وفي حدود النصوص التراثية القديمة وحسب.[2] واذا شاءت الحوزة ان تقدم استجابات مناسبة لاحتياجات المجتمع الحالية في المستويين الفكري والعقيدي فيلزم منتسبيها ان يتوفروا على اطلاع كافٍ في موضوعات

---

(١) فيما يرتبط بالادوار التي ذكرها المؤلف للحوزة وطلاب الجامعة واساتذتها في مشروع الوحدة، تعاملنا مع نص المؤلف بشيء من التصرف فلخصنا ـ رغبة في الاختصار ـ وجهة نظره في هذه الدائرة بشكل غير مخل نظراً لما اتسمت به من تفصيلات لاتهم القارئ بشكل اساسي (المترجم).

(٢) نشاهد أحيانا في المعاهد الدينية اعلانات عن افتتاح دروس في الطب والفلك... تعتمد الكتب التراثية كالقانون لابن سينا! ولازال الطلبة يدرسون بعض مسائل الرياضيات والفلك في ابواب الصلاة والإرث وغيرها طبقاً لما كان سائداً في القرن الخامس الهجري (المترجم).

الفقه الحديثة والاشكاليات الفلسفية التي راح يطرحها العلم الحديث، اضافة الى التحديات الاخرى التي تحتاج الى استيعاب مناسب، ولازلنا نلاحظ كيف تتعاطى الحوزات بروح انفعالية مع ظاهرة الغزو الثقافي. وقد ادرك رجال الدين النصارى هذه الضرورة، فنلاحظ اليوم ان الكثيرين منهم يحملون تخصصات في فروع العلم الحديث، وقد لمست شخصياً في المؤتمرات الدولية انهم تفوقوا في معالجة العديد من الشبهات التي تطرح على الدين من قبل العلم الحديث.

واذا كان رسول الله(ص) قد أمر زيد بن ثابت بتعلم لغة اليهود[1] للوقوف في وجه محاولات تحريفهم للدين، فما هو المانع في ان نتسلح نحن بأدوات العلم المعاصر لمواجهة الاشكاليات التي تثار وتترك اثرها في المجالين الديني والاجتماعي؟ ومن الطبيعي اننا لانعني بذلك ان يسعى كل طلبة العلوم الدينية الى الحصول على تخصصات عليا في العلوم الحديثة، وانما نريد ان يبادر الى ذلك نخبة منتقاة تسد النقص الحالي، ومن المؤسف ان طرح هذه القضية في الاعوام الاخيرة لم يؤد سوى الى اضافة بعض الفروع الانسانية كالاقتصاد والسياسة وعلم النفس والاجتماع وضمن مستوياتها الأولية وحسب، وليس هناك ادنى اهتمام بالعلوم الطبيعية.

ومما يلفت النظر في هذا المجال ان عدم امتلاك معلومات مباشرة حول العلوم الحديثة والجهل بطبيعة الامكانيات العلمية وحدود المنهج العلمي، ادى الى ان يتأثر بعض طلبة العلوم الدينية بالمسار التغريبي، ونرى ان بعض فضلاء الحوزة في مجال العلوم الانسانية ذات العلاقة باهتمامات الدرس الديني، قد انكبوا على مطالعة البحوث والأعمال التي ترجمها تنويريونا، دون ان يحاولوا

---

(١) احمد امين، فجر الاسلام، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٩، ص١٤٢.

متابعة ما يطرح في الغرب بشكل مستوفٍ أو يمعنوا النظر في الميراث الثقافي الذي نمتلكه، وهذا ما يحتاج الى مبادرات جادة من قبل الحوزة مع ملاحظة الاهمية التي تمتاز بها العلوم الانسانية الحديثة والخطورة التي تنطوي عليها في الوقت ذاته اذا لم تتعرض الى نقد علمي في اطار الرؤية الاسلامية.

٤- دور طلبة الجامعات

توجد هنا عدة مستويات يبرز فيها دور الطلبة الجامعيين في مشروع الوحدة:

أ ـ يمكن للطلبة المتدينين ان يحولوا دون حصول الانحرافات التي يحتمل ان تظهر في الوسط الجامعي عبر المتابعة المناسبة والتعاطي اللازم من خلال المحددات القانونية.

ب ـ يمثل سلوك الطلبة المتدينين في الجامعة عاملاً مهماً في تعزيز جانب الالتزام الديني عند الآخرين، ومن المؤسف ان الاساليب التربوية السابقة ادت الى غياب الجو الاسلامي المتكامل في الجامعة، اضافة الى ضعف مستوى الثقافة الاسلامية بالنسبة الى شريحة واسعة من الطلبة.

٥- دور أساتذة الجامعات

يمكن لأساتذة الجامعة المتدينين ان يضطلعوا بدور مهم في مجال الوحدة، حيث يمكنهم ان يساهموا في نقل العلوم الحديثة الى الحوزات عبر توليهم للتدريس فيها، كما ان تواجدهم في الحوزة يمكنه ان يعد الارضية اللازمة للتفاعل البناء بين المؤسستين المهمتين: الحوزة والجامعة.

٦ ـ توصيات

ان فصل الحوزة عن الجامعة كان عاملاً في فصل الدين عن العلم في اذهان النخبة المسلمة، والحل هو توحيد هدف المنتسبين لهاتين المؤسستين، ولذلك

علينا السعي الى تجاوز عوامل الفصل بين العلوم الاسلامية والعلوم الطبيعية وايجاد الأرضية اللازمة للتقارب بينها، حتى تؤدى هذه العلوم دورها في خدمة ورقي الاهداف العلمية والمعنوية في المجتمع الاسلامي. ومن أجل ذلك فإنني اقترح:

١ ـ تأليف كتب عن المعارف والثقافة الاسلامية بما يتناسب مع المستوى الفكري للجامعيين وتدريسها كمادة في الجامعات.

٢ ـ ان تستقبل الجامعات النخبة الواعية من علماء الدين لتتولى تدريس المواد الاسلامية في جامعاتها.

٣ ـ تدريس العلوم المحضة (الفيزياء، الكيمياء، الرياضيات، الأحياء وغيرها) والعلوم الانسانية (علم النفس، الاقتصاد، الفلسفة المعاصرة وغيرها) في الحوزات والمعاهد الدينية كمادة دراسية تخصصية.

٤ ـ نشر التعاليم الاخلاقية والتربوية التي كان يتحلى بها العلماء المسلمون، ودعوة طلبة الجامعات وطلبة العلوم الدينية للتحلي بها، من أجل توظيف العلوم في خدمة الأمة.

٥ ـ تأسيس معاهد البحوث والدراسات المشتركة بين الحوزات العلمية الدينية والجامعات، والتعاون المشترك والبناء بينهم.

٦ ـ هناك مساعي جديدة في مسألة التقارب والوحدة بين المؤسستين ولكن لم تصل الى المستوى المطلوب، وأهم عامل لنجاح هذه الوحدة هو اعتراف كل طرف بالآخر.

الفصل السادس

الجامعات الاسلامية:
من العلمانية الى الدين



١ـ الأساس التاريخي للموضوع

طرح في الأعوام الاخيرة، موضوع أسلمة العلوم والجامعات الحديثة وتدشين نموذج الجامعة الاسلامية، وادى ذلك الى خلق ملابسات عديدة حيث اعتقد البعض ان هذه الافكار تمثل جانباً من (البدع) التي جاءت بها الجمهورية الاسلامية في ايران، وراحو يصرون على ان العلم في نفسه غير خاضع للتصنيف الى اسلامي وغير اسلامي، غير ان واقع الامر هو ان موضوع أسلمة العلوم او الجامعات قد طرح منذ وقت طويل وفي أماكن عديدة وهو لا يمثل واحدة من بنات افكار الحوزة العلمية او الثورة الاسلامية.

فقبل اكثر من ستين عاماً (في الثلاثينات) طرح المرحوم ابو الأعلى المودودي اثناء تسجيله بعض الملاحظات على جامعة عليكرة في الهند، موضوع أسلمة الجامعات وهو يقول في هذا المجال: (لا حاجة الى ذكر ان الجامعة او اي مؤسسة تعليمية اخرى، تمتلك هوية ثقافية محددة وهي تعكس النمط الثقافي الذي تتبناه ... فتتولى كل مؤسسة اعداد برامجها التعليمية في ضوء الآيديولوجيا والثقافة التي تعتمدها، واتساءل هنا: هل تأسست الجامعة الاسلامية لتعزيز الثقافة الاسلامية ام للدعاية الى الثقافة الغربية)[1]؟

---

(1) A.Mawdudi, Mawdudı on Education, trans. By S M.A. Rauf (Karachı. Islamıc Research Academy, 1988), p. 29.

كما طرح المودودي ايضاً اشكالية أسلمة العلوم قائلاً: (يعتقد المجددون الحداثيون ان اضافة دروس في الفكر الاسلامي الى قائمة المقررات الدراسية، يكفي لإعداد برنامج دراسي تتوفر فيه الخصوصية الاسلامية، ان اولئك لن يتسببوا في ضلال المسلمين وحسب، وانما هم يخدعون انفسهم كذلك عبر الايحاء لها بأن النظام التعليمي الغربي يوفر للجيل تربية اسلامية. الا ان هذا النمط المشوه من الاسلمة لن يتمكن من الاستمرار طويلاً ... وفي ضوء هذا فإن الظرف ملائم لأن يتخلص المسلمون من المنهج التعليمي القديم ومن البرامج الاخرى ذات الطابع العلماني كذلك، ليؤسسوا نظاماً تعليمياً وتربوياً مستقلاً، يتسم بالجدة قدر الإمكان، فيفيدون من العلم والتقنيات الحديثة على افضل وجه، ولكن في اطار اسلامي. ولا يمكن ان ينقذ هذا المشروع الا من خلال عقيدة وايمان راسخين لا بمجرد تأييد الاسلام)[١].

نظم في مكة المكرمة خلال ابريل (نيسان) ١٩٧٧ المؤتمر الدولي الاول للتربية والتعليم الاسلاميين، وشارك فيه ٣١٣ شخصية من علماء المسلمين ناقشوا خلاله موضوع أسلمة مختلف العلوم والمعارف، وفي عام ١٩٨٢ نظم مؤتمر دولي لأسلمة العلوم في اسلام آباد (الباكستان)، وخلال صيف ١٩٨٤ بادر المرحوم اسماعيل الفاروقي رئيس المعهد العالمي للفكر الاسلامي بأمريكا والاستاذ في جامعة تمبل بفيلادلفيا، الى تنظيم المؤتمر الدولي لأسلمة الفروع العلمية بماليزيا، وقد اقيمت بعد ذلك مؤتمرات عدة ضمن المجال ذاته في بلدان مختلفة (اسلامية وغير اسلامية)، وقد تأسس منذ مطلع الثمانينات عدد من

---

(1) A. Mawdudi, West Versus Islam (Delhi: Markazi Maktaba Islami, 1992), pp. 169-170.

الجامعات العالمية الاسلامية في جملة من البلدان الاسلامية مثل الباكستان وماليزيا والجزائر و...الخ وامريكا وبريطانيا أيضاً.

صدر خلال الاعوام العشرين الماضية، عدد من المجلات العلمية التي تعنى بهذا المجال نظير:

- (American Jouenal of Islamic Social Science) أمريكا.
- (Journal of Islamic Science) الهند.
- (Muslim Educat ion Quarterly) بريطانيا.

ويتولى الجدول الملحق بهذا الفصل ذكر عدد من الاعمال التي صدرت خلال العقدين الاخيرين حول أسلمة العلوم والمعرفة.

لم يكن موضوع العلم الديني مطروحاً في العالم الاسلامي وحسب، بل ان العالم المسيحي شهد اهتماماً شديداً بهذا الموضوع خلال الاعوام العشرين الماضية وقد نظمت في هذا الشأن مؤتمرات كان آخرها مؤتمر (العلم في اطار ايماني) Science in a Theistic context الذي انعقد عام ١٩٩٨ في كندا، ومما يجدر ذكره ان اصطلاح (Theistic Science) (العلم الديني) اصبح متداولاً في الاوساط الثقافية الغربية.

وقد نظم في مدينة شيراز عام ١٩٨٠ ولأول مرة في ايران، مؤتمر حول التربية والتعليم الاسلامي وتكرر انعقاده طيلة ستة اشهر، وكان حصيلة هذا المؤتمر المحلي برنامج تحت عنوان (الأسس والضوابط في الجامعات الاسلامية)[1]، وفي عام ١٩٨٢ نظم مؤتمر محلي ايضاً في طهران حمل عنوان

---

(١) حسيني، علي اكبر، طرحي كلي درباره اصول و ضوابط حاكم بر دانشكاه هاي اسلامي (مشروع عام حول الاسس والضوابط في الجامعات الاسلامية) صحيفة جمهوري اسلامي، ١٨ حزيران ١٩٨٠، ص ٧.

(المؤتمر الاول للتحول الى منهج التربية والتعليم الاسلامي).

مثلت العلوم الطبيعية قسماً من الفلسفة في العالم الاسلامي قبل ظهور العلم الحديث، كما ذكرنا فيما تقدم، وكانت تطرح في موطن واحد مع الالهيات والرياضيات فيضمها جميعاً اطار ميتافيزيقي موحد. كان المفكرون المسلمون يرون للعلم مراتب تبدأ من المعرفة الحسية كما تشتمل على المعرفة البرهانية (العقلية) والمعرفة الشهودية (الكشف العرفاني) بينما تنتهي عند الوحي، ولكنهم في ذات الوقت الذي اعتقدوا بوجود تلك المراتب فإنهم كانوا يؤمنون بوجود ترابط وثيق بينها، لكنه ومع ظهور العلوم الحديثة والنجاح الذي حققته في تفسير ظواهر الطبيعة ومجال التطبيقات العملية، فقد انفصلت العلوم تلك عن الفلسفة واتخذت منهجها المستقل.

وفي القرن التاسع عشر بلغ المذهب الوضعي وباقي الاتجاهات التجريبية مرحلة النضج وهيمنت على الاوساط الاكاديمية مما لايزال قائماً حتى الآن، ولا يعير العالم (بالكسر) الغربي اليوم ادنى اهمية للدين سواء في نطاق نشاطه العلمي او الشخصي، ومع انه يوجد بين العلماء الغربيين، اشخاص متدينون يرتادون الكنائس... الا ان الدين غالباً ما لا يمثل أي موقع في اطار ممارساتهم العلمية.

ومما يؤسف له ان دخول العلوم الحديثة الى بلاد الاسلام تم في حقبة سيادة الاتجاه الوضعي، الذي جاء معه بالفلسفات التجريبية بما تحمله من رؤية تفصل بين العلم والميتافيزيقيا الإلهية. ولهذا فقد ساد النمط العلماني من المعرفة العلمية في بلاد الاسلام وظل اغلب المتعلمين والجامعيين يفتقدون اللون الاسلامي في تربيتهم وما يحملونه من افكار، فشاعت في اوساطهم فكرة التعارض بين العلم والدين او ان العلم مستقل عن الدين بشكل كامل مما يعني ضرورة ان يتم فصل كافة الموضوعات العملية عن الشأن الديني. وليس للدين اليوم ـ مع قطع النظر عن بعض الظواهر ـ أي دور حقيقي في جامعاتنا العلمية،

ورغم ان برامجها التعليمية تتولى في الظاهر تقديم البعد العلمي لما تتوفر عليه من موضوعات وحسب، الا ان الاتجاهات الفلسفية المستبطنة فيها تنتقل كذلك مع المسائل العلمية وهذا ما لعب ولا يزال دوراً في تشكيل الفكر العلماني.

مع ان المستوى الديني قد تراجع في البلاد الاسلامية الا انها لم تتمكن حتى الآن من العثور على الفردوس الموعود الذي نادى به انصار التغريب، ولذلك فإن جملة من العلماء المسلمين راحوا يفكرون بالعودة الى الروح الاسلامية الاصيلة، كما ساهم في ذلك ما شهدته توظيفات العلم الحديث من سوء استغلال عبر النيل من الاخلاق والقيم واشاعة الدمار بين بني البشر، الامر الذي كان مدعاة للقلق.

٢ـ اسئلة واعتراضات

يواجه موضوع اسلمة العلوم او الجامعات العلمية جملة من الاسئلة والاعتراضات:

ـ كيف نثبت ان الفيزياء وعلم الاجتماع...الخ، يمكن تصنيفها الى علوم اسلامية وغير اسلامية؟

ـ ان موضوع الاسلمة يعبر عن تراجع في الحالة العلمية.

ـ ليس ثمة بين العلم والدين آصرة موضوعية، ولذلك لا يمكن لأي منهما ان يترك تأثيراً على الآخر.

ـ يستهدف مشروع اسلمة الجامعات، التضييق على افكار الجامعيين واحتجازها في قوالب معدة سلفاً.

ـ انما يحاول مشروع الاسلمة ان يواجه الافكار المباينة للاسلام، وهو يعمل في هذا الاطار على خلق ازمات فكرية.

لقد راح اصحاب هذه الاعتراضات يتهمون انصار مشروع الاسلمة

بالسطحية والسعي لاحتكار المعرفة، وعلى صعيد ثانٍ قدم العديد من الداعين الى اسلمة العلوم والجامعات العلمية، تصورات متعددة في هذا المجال منها:

ـ تهدف الاسلمة الى الاهتمام بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة.

ـ المراد من الاسلمة ان تتضمن كتب المنهج الدراسي براهين تثبت وجود الله.

ـ يتمثل مشروع الاسلمة بتحكيم التعاليم الدينية على اجواء البحث العلمي.

تنطوي الاعتراضات التي طرحت في وجه موضوع الاسلمة، والتصورات التي ذكرناها حول ماهيته، على اخطاء تنشأ من تفسير خاطئ لهذه القضية. وقد أغفل العديد من باحثينا حقيقة ان عملية انتقاء الباحث لأحدى النظريات واعتماده لها تتأثر بقبلياته الميتافيزيقية، ولذلك فإنهم يرددون انه لايمكن تقسيم التجربة الى امريكية وايرانية.

كما انهم يغفلون ان نتائج التجربة يمكن تفسيرها بصور مختلفة في اطار الرؤى المتباينة حول الكون والعالم، وعلى سبيل المثال فإن احدى مشاكل علم الفلك هي محدودية المجال الذي يمكنه استيعابه اذ لايمكنه ان يستوعب في ابحاثه اكثر من جزء واحد من اجزاء الكون، ومن بعض جوانبه فقط، اضافة الى عدم توفر معطيات مباشرة عن الاجرام السماوية، وانما يتم التعرف عليها عبر النور المنبعث منها، ولذلك يضطر علم الفلك الى تعميم الفيزياء المحلية[1] للحصول على نموذج تصوري للكون، وتتدخل في هذه التعميمات جملة من الفرضيات التي لايمكن اخضاعها جميعاً الى الاختبار المباشر.

---

(١) هكذا عبر المؤلف، ويريد بها الفيزياء التي تستند الى معطيات اختباراتنا لزاوية واحدة من العالم الوحيد الذي نشاهد (المترجم).

٣ـ اهمية العلم الديني

حيث اننا في صدد تحديد المفهوم الذي نعتمده لمشروع اسلمة العلوم والجامعات، فمن المناسب ان نلقي ضوءا على ما يمتاز به العلم الديني من اهمية وما ينطوي عليه من مضامين، ويمكن طرح ذلك من جانبين:

ـ يمكن ان تتأثر الفروض الميتافيزيقية للعلم، بالعقائد الدينية.

ـ يؤثر الفكر الديني على المسارات التطبيقية للعلوم. وسنتولى بحث هاتين القضيتين فيما يلي:

أ ـ لا يتجرد العلم عن الفروض الميتافيزيقية

تقوم العلوم الحديثة على الملاحظة والتجربة، وتؤثر قبليات الباحث الميتافيزيقية في انتقائه لنوع الاختبارات ونمط الملاحظة تلك، فهايزنبرغ مثلاً كان يخالف ـ استناداً الى مبررات فلسفية ـ الفكرة التي تقرر قابلية اجزاء الذرة للتجزئة اللامتناهية[1]، غير ان حجم التأثير الاكبر للقبليات الميتافيزيقية انما يبرز في مجالي تفسير وتعميم نتائج الاختبار. ويقول ابو الأعلى المودودي: (تتحرك العلوم في مستويين: يتمثل الاول بحقائق الطبيعة او الواقع، والثاني بما يقوم به الانسان من تركيب بين هذه الحقائق في قوالب نظرية وتأسيس لبعض المفاهيم، وينبغي ان يتم الفرز بين هذين المجالين، فتعبر العلوم في اطار المستوى الاول المتعلق بالحقائق، عن امر شمولي وعام ليس بالهندي او الباكستاني ولا الروسي او الياباني، بل هي حقائق وحسب. ولكن العقل الماركسي مثلاً يقوم بصياغة تلك الحقائق طبقاً لرؤية ماركس، وانتم تسمعون عبارات نظير العلم الروسي او

---

(1) M. Gardner, The whys of a Philosophical Scrivener (Oxford: Oxford University Press, 1983), p. 437.

الفلسفة الشيوعية، فالشيوعية تمتلك مفهوماً خاصاً للانسان والعالم ونظرية محددة حول التاريخ... بالتالي فإن كل طفل في البلدان الشيوعية يأخذ العلوم بالشكل الذي تمت صياغته في اطار الآيديولوجيا الماركسية. ويأتي نظير هذا فيما يرتبط بعلماء الغرب اذ أن لهم مفهومهم الخاص عن الكون والإله والانسان، وهم يريدون ان يروا النظام الكوني يتحرك بمعزل عن الإله وطبقاً لتصوراتهم التي يعد فيها دور الله في النظام الكوني قضية غير مطروحة من الاساس، ورغم امكان ان يحمل اولئك الايمان بالله كعقيدة شخصية غير أنهم يفرضونه غير موجود في المجال العلمي والتاريخي والفلسفي، ويتولون تفسير كافة الحقائق في ضوء هذه الفرضية. ونستنتج من هذه النماذج هو ان الآيديولوجيا تمنح العلم والمعرفة شكلاً خاصاً يتماهى مع تصوراتها العامة. وفي الماضي قام المسلمون بأسلمة سائر الفروع العلمية التي استوعبوها، بمعنى انهم اخضعوها للعقل الاسلامي)[1].

وعلى هذا الاساس نجد أن روبرت يانغ رئيس تحرير مجلة (Sience as Culture) يقول: (لقد اوضحت التحولات الأخيرة، للنابهين انك لن تجد جانباً في العلم او التقنية او الطب وسائر التخصصات الاخرى، بعيداً عن تأثيرات الآيديولوجيا)[2].

حينما نعالج المسائل المرتبطة ببداية الكون ونهايته ونحاول تحديد الوضع الاول والاخير للطبيعة ونسعى الى اعتماد احدى النظريات المطروحة في هذا المجال، فإن قبلياتنا ستؤثر في عملية الاختيار تلك، فمن يدن بعقيدة إلهية سيفسر القضايا بنحو يتباين مع التفسيرات التي يقدمها شخص منكر لوجود الله، أي ان

---

(1) A. Mawdudi, (Moudoodi on Science), Trans. By Rafat, Journal of Islamic Science, vol.10, No. 2, 1994, pp. 113-114.

(2) Discover, March 1998, p. 81.

عقيدة الباحث تلعب دوراً في توجيه عملية تركيبه للنظرية، ونذكر لإيضاح ذلك بعض الامثلة:

تمثل قضية الوحدة بين قوى الطبيعة اهم مسائل الفيزياء المعاصرة، وقد عالج ثلاثة من علماء الفيزياء طبيعة العلاقة بين الطاقة النووية الواطئة والطاقة الكهرومغناطيسية، واشترك الثلاثة في نيل جائزة نوبل في الفيزياء (عبد السلام واينبرغ وغلاشو) غير أن دوافعهم تباينت في البحث حول هذه القضية، حيث كان عبد السلام يرى في وحدة قوى الطبيعة دليلاً على وحدة التدبير وبالتالي وحدة المدبر، وان المثير في ذلك الاكتشاف هو هذا الاستنتاج ذاته. بينما يرى غلاشو أن الموضوع ينطوي على اهمية في المجال العملي، اما واينبرغ فإنه يجد فيها حلاً وتبسيطاً للعديد من المسائل العلمية والا فإن العالم لايمثل له سوى نقاط مبعثرة.[1]

والغرض من ذكر ذلك هو التنبيه على ان البحث العلمي حين يصل الى القضايا الأساسية، فإن اتخاذ الموقف ازاءها في اطار العلوم ذاتها يبدو صعباً للغاية او انه غيرممكن احياناً، ولذلك فإن العلماء وتبعاً لقبلياتهم الذهنية يتوسلون بفرضيات فلسفية متنوعة، ويحتمل في الحقيقة ان لايوجد ثمة علم يتجرد عن المرجعيات القيمية، بل حتى التفاوت الملاحظ في هذا المجال بين العلوم الانسانية والطبيعية انما هو في مستويات التأثير شدة وضعفاً. في ضوء ذلك فإن موضوع اسلمة العلوم يستهدف تحديد الاشياء التي اضيفت الى العلم من خارجه، لاعادة صياغة القضايا وتقيميها في اطار اسلامي، حيث ان الاسلام

---

(١) يواصل المؤلف ايراد امثلة متعددة في ذات السياق حول الاثر الذي تتركه قبليات الباحث الميتافيزيقية على نظريات العلم، وقد اهملنا ترجمة الصفحات (١٥٣ – ١٦٣) لما انطوت عليه من طابع تخصصي محض، فضلاً عن امكانية الحصول عليها من المراجع ذات العلاقة ، انظر مصادر ٧ الى ٣٠ (المترجم).

لايتدخل في تحديد عدد العناصر في الطبيعة وهل هي ٩٢ عنصراً او اكثر، اذ انه ترك لنا ذلك لنكتشفه بواسطة التجربة ﴿قل انظروا ماذا في السموات والارض﴾ يونس ١٠١، بل انه ترك لنا ايضاً اكتشاف كيفية بدء الخلق ﴿قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق﴾ العنكبوت ٢٠.

غير ان ثمة اطاراً يحدد اتجاه الانسان في هذا المجال إلهياً او مادياً، ولايعني مفهوم العلم الديني رفض المختبر العلمي ونظريات الفيزياء او ابتداع منهج جديد للبحث العلمي، كما انه لايعني استنتاج المعادلات الكيميائية والفيزيائية او معطيات علم الاحياء من القرآن والسنة، وانما اخضاع سائر القضايا لإطار ميتافيزيقي ديني. واذا رجعنا الى سيرة العلماء في عصر ازدهار الحضارة الاسلامية فسنجد ان الفكر الإلهي كانت له الهيمنة على عقولهم في ذات الوقت الذي كانوا يمارسون البحث العلمي بأعلى مستوياته آنذاك، حيث توفروا على بحث مسائل العلم في سبيل الله تعالى، تدفعهم الرغبة في اكتشاف الآيات الالهية في الطبيعة، كما هيمن هذا اللون من التفكير على مؤسسي العلم الحديث مثل كبلر ونيوتن وبويل... الخ.[1]

وكان يستهدف تحقيق ذلك الهدف جميع من دعا الى اسلمة العلوم في البلدان الاسلامية، اولئك الذين كانوا في صدد تأسيس جامعات اسلامية، ونجد نموذجاً لذلك في البيان الختامي للمؤتمر العالمي الأول للتربية والتعليم الاسلامي المنعقد بمكة المكرمة ١٩٧٧ بمشاركة جمع غفير من مفكري العالم الاسلامي[2].

---

(١) يورد المؤلف عدة امثلة على ذلك وتجاوزناها (مصادر ٣١ — ٣٢) لأنه سبق وان ذكر نظائر لها في الفصل الاول، فراجع (المترجم).

(2) S. N. Al-Attas, ed., Aims and Objectives of Islamic Education (Jeddah: King Abdulaziz University, 1979), pp. v-vi.

ب ـ دور العقيدة في مسارات العلم والتوظيفات العلمية

رغم امكانية توظيف مختلف الفرضيات الميتافيزيقية ـ كما لاحظنا ـ في اطار البحث العلمي، الا ان التفاوت الاساسي بين جهد الباحث المتدين ونظيره العلماني يتجلى في مستوى النتائج والاهداف، فالإنجاز الذي يطرح في اطار إلهي سيتولى تلبية حاجات الانسان في الجوانب المادية والمعنوية، اما تلك التي تتم في اطار علماني فإنها لن تمتلك ضمانات ازاء احتمال تأديتها الى تبعات سلبية، وقد شهد القرن الاخيرة جملة من توظيفات العلم التي جرت الويلات والدمار، ويقول الدكتور ريتشارد تامبسون (Richard Thampson) الباحث في مؤسسة لاهويا للأبحاث بكاليفورنيا، موضحاً هذه الحقيقة بشكل جيد: (لقد أدت العلوم الطبيعية الى كل هذا التطور التقني، غير اننا ندرك الآن ان بني البشر راحوا يعرضون عن اساليب الحياة التقليدية، لأجل الإلتحاق بمحاولات امتلاك سلطة التقنية، تلك المحاولات التي تنتهي بصناعة اكبر عدد ممكن من آلات الدمار الشامل، ويمكن استنتاج ان مسار المدنية الحديثة يتعزز بقوة عبر تلك النظريات العلمية التي تتقاطع وسائر فلسفات الحياة باستثناء الفلسفة المادية. لعل تغيير هذا المسار صعب للغاية، غير انه يمكن ان يؤثر في هذا التغيير بشكل مهم، ان نشيع ـ بنحو يستوعب مجالات واسعة ـ رؤية متماسكة ازاء المعرفة العلمية، تأخذ بنظر الاعتبار جانباً معنوياً مهماً لحياة الانسان، رؤية تنسجم مع الإيمان القديم الذي يقرر ارتباط الانسان بموجود متعالٍ. ان مثل هذه الرؤية تجعل من الممكن توجيه القوى البشرية نحو غايات معنوية ارفع، وتؤمن مبدأ اخلاقياً متيناً يوجه شؤوننا المادية)[1].

---

(1) T.D. Singh and Ravi Gomatam, eds., op.cit., p. 235.

وقد دلل تاريخ العلم على ان المنظومات القيمية تترك آثارها على مسارات العلم، وكما يقول جون بروك (John Brook) مؤرخ العلم الشهير: (يمكن لمسارات العلم والتوظيفات العلمية، ان تختلف بوضوح في اطار تنوع المنظومات القيمية، وحيث ان قيم الانسان ترتبط عضوياً بالمعتقد الديني فإنه يمكن تقرير ان المعتقد الديني لازال يمارس تأثيراً على اتجاهات العلم والتقنية)[1].

تعتبر الاديان الابراهيمية الانسان خليفة لله في الارض، يتولى اعمارها، وفي ضوء هذا نجد في النصوص الاسلامية ان العلم الذي يقترن بالإيمان يتحول الى وسيلة للعمران والفلاح، وقد قال الامام علي: (وبالإيمان يعمر العلم)[2]، ويقدم اسهام العلماء في المشاريع التي ادت الى تلويث البيئة او دمار البشر، نموذجاً بارزاً للعلم الذي يفتقد المسار السليم، وطبقاً لموريس ويلكنز (الحائز على جائزة نوبل في الطب عام ١٩٦٢) فإن ٥٠٪ من العلماء والمهندسين في العالم متورطون حالياً في البرامج ذات العلاقة بسباق التسلح[3]، ومع ملاحظة حجم الامكانيات الاستثنائي الذي وضعه التطور التقني في متناول يد العلماء (مثل بعض تقنيات الهندسة الوراثية) فإن الشعور بالمسؤولية وموضوع الالتزام يكتسبان اهمية متزايدة بالنسبة للعلماء، ويمثل تعزيز القيم الدينية واحداً من افضل السبل في هذا المجال.

---

(1) John H. Brook, Science and Religion, Some Historical Perspective (Cambridge: CUP, 1991), p. 336.

(٢) نهج البلاغة، اعداد صبحي الصالح. بيروت، ب. ت، ١٣٧٨ هـ ص ٢١٩.

(3) T.D . Singh and Ravi Gomatam, eds. Op . cit , p. 29.

٤ـ العلم الاسلامي

ذكرنا فيما مر أن موضوع العلم الديني او العلم الاسلامي طرح قبل عدة اعوام، الا أن ثمة تصورات واتجاهات مختلفة حول تحديد هذا المصطلح منها:

ـ ان المراد من ذلك، هو العلم الذي يتشكل ويتكامل في اطار الثقافة والحضارة الاسلاميتين.

ـ انه مجموعة العلوم التي تتوخى تفسير الكتاب والسنة، كالفقه والاصول والتفسير والفلسفة والكلام، الى جانب مقدمات هذه العلوم.

ـ ان طبيعة منشأ العلم لاتشكل امراً مهماً، اذا ما تمت معالجة القضايا العلمية في اطار اسلامي، حيث يمكن حينئذ ان نتعامل معه بعنوانه علماً اسلامياً.

ـ وهناك من يقول تعني اسلمة العلوم، الاهتمام بالمعاجز العلمية للقرآن والسنة.

ـ يعبر العلم الاسلامي عن الحقل الذي يكون مؤثراً ونافعاً في مجال الإلهيات (معرفة الله)، وتلبية الحاجات المشروعة للمسلمين على المستويين الفردي والاجتماعي.

نعتقد الى جانب اعتمادنا الرأي الاخير، ان تحديد العلم الاسلامي بدائرة المعارف الدينية الخاصة، يعكس ضيقاً شديداً في الافق وهو لاينسجم مع موقف القرآن الكريم والسنة الشريفة، ويقول الشهيد مرتضى مطهري (في محاضرة له عام ١٩٦١): (ان تقسيم العلوم الى دينية وغير دينية، لا يمتلك اساساً متيناً، كي يتخيل البعض ان العلوم التي لاتسمى .اصطلاحاً .بالدينية، تمثل مجالات غير ذات علاقة بالاسلام وتقتضي خاتمية الاسلام وشموليته ان يستوعب مفهوم العلم الديني كل ما كان مفيداً ونافعاً للامة الاسلامية وضرورياً لها)[1].

---

(١) مطهري، مرتضي، ده كفتار (عشر كلمات) طهران: انتشارت حكمت، ١٩٧٧ ص ١٤٦- ١٤٧.

كما قال ابو الأعلى المودودي (في ثلاثينيات هذا القرن): (يجب ان تتذكر دوماً، ان الاسلام ـ وخلافاً للمسيحية ـ يرفض تقسيم مناهج التربية والتعليم الى نمطين مستقلين: ديني وعلماني، حيث ان الاسلام لايختزل في دائرة التشريعات والاخلاق بل يستوعب مختلف شؤون الحياة)[1]. وهذا ما تضمنه البيان الختامي لمؤتمر مكة العالمي الاول حول التربية والتعليم الاسلامي، حيث جاء فيه: (فلعلوم الشريعة ارتباط وثيق بالعلوم الاخرى، كالطب والهندسة وعلم النفس والاجتماع وغيرها، من حيث ان تلك العلوم تعد إسلامية طالما تحركت في الاطار الاسلامي وانسجمت مع مفاهيمه وتصوراته... ولايقلص مفهوم العلم في الاسلام دائرة العلوم النظرية او التجربية او التطبيقية، سوى في مجال التحديد في مستوى غاياتها من جهة، وتوظيفاتها العملية من جهة اخرى، ويعبر العلم في المفهوم الاسلامي عن أحد مستويات العبادة الذي يمكن بواسطته ان يزداد الانسان قرباً من الله...)[2].

٥ـ الجامعات الاسلامية

ما هو المقصود بالجامعات الاسلامية؟ فهل يعني ذلك ان تتم البحوث العلمية بمنهج جديد؟ او ان تأخذ التجارب شكلاً آخر؟ او ان تراعي فيها ظواهر النصوص الاسلامية؟ او ان المراد هو استخدام البحث العلمي في البرهنة على الدين...؟ كما يطرح تساؤل آخر: افليست الجامعات الحالية اسلامية؟ او: الا يمكن اسلمتها عبر اضافة بضعة مقررات دينية الى برنامجها التعليمي؟

---

(1) Mawdudi, op. Cit., 1988, p. 29.

(2) Crisis in Muslim Education, edited by S.S. Husain and S.A. Ashraf (Jeddah: King Abdulaziz University, 1979), p. 43.

وجوابنا على ذلك أن الجامعات الاسلامية ذات بعدين: ظاهر يمثل شكلها الخارجي، وباطن يعبر عن بنيتها الداخلية. ويتحقق الاول بمراعاة المظاهر والشعائر التي تعرف الناظر اليها بانتمائها الاسلامي، غير ان هذا ليس كافياً وحده، حيث ان ماهو ضروري للنموذج الاسلامي الذي نتحدث عنه هو طبيعة جوهره وبنيته الداخلية، وهو ما يتحقق عبر هيمنة التصور الاسلامي على ابناء تلك الجامعات، أي ان تتجلى الخصوصية الالهية في مفهومهم عن الكون والمجتمع والهدف من الحياة بحيث تتم صياغته طبقاً للمبادئ الاسلامية.

فحينما نلقي نظرة على اعمال البيروني ـ مثلاً ـ في الجغرافيا والفلك والكيمياء، ندرك ان حركة تلك العلوم انما تمثل آلية لاكتشاف خلق الله جل وعلا، وفي ضوء ذلك نعتقد ان الجامعات الاسلامية تعبر عن النموذج الذي يضم العلوم والتقنيات بمستواها الحالي في العالم الى جانب هيمنة الرؤية الدينية عليها.

ونريد ان نتساءل: لماذا طرح موضوع اسلمة الجامعات في ايران او البلاد الاسلامية الاخرى؟

لم تكن جامعاتنا تمتلك قبل الثورة الاسلامية، الطابع الاسلامي سواء على مستوى المظهر والشكل او الجوهر والبنية الداخلية، وقد اكتسبت تلك الجامعات اليوم شكلاً اسلامياً، على أن الرؤية الاسلامية لم تأخذ رغم ذلك موقعها المناسب فيها، وتتمثل اسباب ذلك بما يلي:

١ـ تلقى معظم اعضاء الهيئات العلمية للجامعات علومهم في فضاءات علمانية، ولا يمكن في ضوء ذلك ان نترقب هيمنة الرؤية الاسلامية عليهم، وقد طرأت بعد الثورة تغييرات في مستوى ما على تركيبة الهيئات تلك، الا ان الفكر العلماني لايزال هو السائد.

٢ـ لم تتخذ خطوات ثقافية كافية في سياق معالجة الرؤية التي يحملها طلبة الجامعات، وقد غلب الاهتمام بجانب الشكل في الخطوات المتخذة على جانب المضمون.

٣ـ افتقدت المؤسسات الثقافية حجم الحرص المطلوب ازاء تعميم الرؤية الاسلامية.

٤ـ لم تترك الخطوات المتخذة في مجال اضافة دروس المعارف الدينية[1] الى المقرر الجامعي، الأثر المطلوب، وذلك لأن الطالب ورغم انه يتلقى دروساً في الثقافة الاسلامية، فإنه يواجه في دروسه الاخرى سلسلة من الموضوعات التي تبدو وكأنها مستقلة وليس فيها موقع للدين والفكر الديني، وذلك ما يصدق في اطار كل من العلوم التجريبية والانسانية. فحينما يتعرض مفهوم الوجود للاختزال في المادة، وتختزل المعرفة في نمطها الحسي، ويغيب الوعي بحدود العلم التجربي او ما ينطوي عليه من فروض فلسفية مسبقة، حين يتم ذلك فلا تبقى ضرورة لذكر الله او التطرق اليه، واذا اكتفينا من العلم بالقابلية على التوقع والتخمين والتوظيفات العلمية، فليس ثمة ضرورة للاستعانة بالدين.

غير ان العلم لو كان يستهدف تكوين فهم معمق حول الطبيعة ولا يكتفي بلون مادي من التصورات الوجودية، واذا شئنا ان نوظف المعطيات العلمية بنحو مسؤول، فيلزم حينئذ ان نستوعب تلك المجالات الواقعة خارج نطاق العلم التجربي، ويبرز هنا بالتحديد دور الدين وتطرح اهدافه في مجال اكتساب المعرفة واتجاه التوظيفات العلمية.

كان ابو الأعلى المودودي من اوائل المفكرين الاسلاميين الذين ابدوا

---

(١) مر الحديث حول ذلك في الفصل السابق (المترجم).

شكواهم من غياب الرؤية الاسلامية عن مؤسسات التربية والتعليم في العالم الاسلامي، حيث كتب عام ١٩٣٦: (لايوجد في الحقيقة أي انسجام بين النمطين الاسلامي والغربي في مجالات التعليم والثقافة، وعلى هذا الاساس ستؤدي اشاعة النمط الغربي العلماني من التعليم بين اجيال الشباب، الى عزوفهم عن الدين. وكيف يمكن ان نتوقع ان يتمتعوا بروح وخلق اسلاميين ونحن نلقنهم الفلسفات الإلحادية، والعلم الذي ينكر حقائق الغيب ولا يعترف الا بالواقع المادي، وندرج في مناهجهم الدراسية: التاريخ والسياسة والاقتصاد والحقوق والعلوم الاجتماعية الاخرى التي لاتلتقي مع الاسلام في مستوياتها العملية والنظرية، كيف ننتظر ذلك ونحن نتركهم تحت نفوذ الثقافة الاجنبية؟)[١].

ومما يلفت النظر ان المودودي ادرك في ذلك الوقت المبكر ان اضافة بضعة دروس دينية الى المقرر الجامعي لايؤمن حلاً كافياً لهذه الاشكالية: (ان مجرد ادخال المواد آنفة الذكر من المعارف الاسلامية [القرآن والحديث والفقه] لايمكنه ان يمنح البرنامج التعليمي هويته الاسلامية)[٢].

ولذلك نلاحظ ان سائر الجامعات التي تأسست وفق هذا المنهج اخفقت في تحقيق هدفها الاساسي، الذي يتمثل بإعداد الطالب كيما يستطيع توظيف التصور الاسلامي في مختلف المجالات، أي ان يقوم بفرز المعطيات التجريبية عن الفروض والمواقف المسبقة للعلماء، ويدرك بشكل جيد حدود العلم وصلاحياته، ويرى الطبيعة جزءا من حقيقة كبرى كي يتمكن من اضفاء اطار موحد على مدركاته العلمية، أي ان يخضعها لإطار ميتافيزيقي إلهي.

---

(1) Mawdudi, op. Cit., 1988, p. 21.

(2) Ibid.

يعتقد[1] البعض ان الجامعات تشكل جزءا من المجتمع وهي انما تكتسب الطابع الاسلامي اذا ما تحقق ذلك للمجتمع بأسره، فلا مبرر لأسلمة الجامعات فقط. غير أننا نرى ان الجامعة تمثل قناة لنقل الثقافة الى المجتمع، اذا أن الكوادر التنفيذية والخبراء في المجالات العلمية هم من خريجي الجامعات، وهم يضطلعون بدور مهم في عمليات التخطيط في البلاد، اضافة الى مايتركونه من اثر على الرأي العام عبر مقالاتهم ومؤلفاتهم وحضورهم في سائر القنوات العامة الاخرى، وايضاً عبر ادوارهم الاستشارية واسهاماتهم في المشاريع والبرامج المختلفة، الأمر الذي يتيح لوجهات نظرهم ان تمارس تأثيراً على مسؤولي الحكومة.

ثمة اتجاه يرى انه يوجد (عالم ديني) وحسب بينما لا وجود للعلم الديني، اذ أن العلم هو واحد لاأكثر، وان العالم هو الذي يكسب العلم لونه الخاص عبر ما يتبناه من قضايا فلسفية وآيديولوجية. غير اننا نلاحظ على ذلك مايلي:

ـ لو كانت المؤلفات العلمية لاتمثل سوى عرض لمعطيات التجربة (التي لاتتجرد هي الأخرى عن الفروض والنظريات المسبقة) بشكل يستقل عن تفسيرات العلماء لها في ضوء انحيازاتهم الفلسفية والآيديولوجية، لساغ لنا ـ باعتبار ما ـ ان نعد العلم مستقلاً عن الرؤى العامة حول الكون فلا نأتي بصفات الديني والعلماني الا بإزاء العالم (بالكسر)، لكن الامر ليس على هذه الشاكلة في مستواه العملي، حيث ان طرح المعطيات العلمية يقترن دائماً بمفروضات قبلية ذات اساس ديني ـ فلسفي.

---

(١) ذكر المؤلف هنا جملة من الاهداف التي ينبغي للبرنامج التعليمي الاسلامي ان يضعها نصب عينيه (مصادر ٤٣ — ٤٤) تمثل تلخيصاً لما مر(المترجم).

تتأثر بعض الافكار التي تمتلك دوراً مصيرياً في الاطار العلمي، بالرؤى الدينية وقد كان انشتاين مثلاً يعتقد ان قابلية الطبيعة على الادراك هو فرض ذو اساس ديني، يقول: (ويتعلق بالمجال الديني ايضاً، الإيمان بإمكانية ان تتمثل القوانين السارية في الكون بوجودات عقلانية بمعنى انها قابلة للادراك. وانا لا استطيع ان اتصور عالماً (بالكسر) حقيقياً لايمتلك هذا الايمان العميق، ويمكن في ضوء هذا ان نقول بأن العلم دون الدين اعرج، كما ان الدين اعمى بدون العلم)[1]. وثمة تصريحات متعددة لعلماء آخرين في هذا المجال[2].

- يدلل تاريخ العلم على مواطن كان فيها لبعض المبادئ الميتافيزيقية دور اساسي في طرح جملة من النظريات العلمية، فالنظرية النسبية مثلاً والتي تعد قضية فيزيائية محضة، قد تأخر انشتاين عن اعلانها مدة عامين لأنه كان يجد تعارضاً بين معادلاتها ومبدأ العلية العام[3]، ولم يعلنها حتى تمكن من معالجة ذلك التعارض، الامر الذي يعني انه لم يكن ليطرح النظرية النسبية لولا نجاحه في تجاوز ذلك التعارض، ولكان من الممكن ان تتجه الفيزياء بنحو آخر.

ثمة اعتقاد بأن دور العلم يتمثل بالوصف والتفسير للحقائق في مختلف المجالات وحسب، وأن علماء الفيزياء والكيمياء لم ينطلقوا من قضية ان للعالم خالقاً او انه ليس كذلك، حتى يبقى مبرر للاعتراض على غياب الله عن اجواء العلم.

---

(1) A. P. Schilpp: Albert Einstein, Philosopher-Scientist (La Salle, Ill.: Open Court, 1970), p

(2) The Christian Science Monitor, July 9, 1998, p. B4.

(3) A Einstein, Ideas and Opinions, Trans, by Sonja Bergman (New York Bonanza Book, 1954), p. 289.

غير ان هذا التصور انما يستقيم لو كانت مهمة العلماء حقاً تقتصر على تفسير الظواهر ووصفها، ولما طرحت حينئذ فكرة اسلامية العلوم او لا اسلاميتها، غير أن هذا الفرض من شأنه ان يحول الابحاث والكتب العلمية الى مجرد فهارس لمعطيات التجربة لا تمتع فيها في الاغلب بالترابط اللازم. والذي يبدو من سيرة كبار العلماء انهم لم يكونوا يكتفون بمجرد وصف الظواهر، ابتداء من انشتاين وهو احد فرسان الفيزياء في مطلع القرن الحالي، وحتى ويتن (witten) الذي يمثل ابرز رجال الفيزياء في نهاية هذا القرن، ويقول انشتاين : (انني اريد أن اكتشف كيف خلق الله العالم. اذ ليس لدي شغف بتلك الظاهرة او ذلك الطيف وهذا العنصر. ارغب في التعرف على افكار الله، ولاتمثل لي سائر الامور الاخرى اكثر من شؤون جزئية)[1]. كما يقول ويتن: (لاتستهدف الفيزياء اتقان كيفية تحديد الأشياء، وانما تحاول اكتشاف المبادئ التي يتحرك الكون على اساسها)[2].

وتتجه البحوث العلمية في ضوء هذا المنهج نحو تكوين نظريات عامة حول العالم، وهنا يبرز بالتحديد دور القبليات الميتافيزيقية ويتم الفرز بين الباحث المؤمن والباحث الذي لايمتلك ذلك اللون من الايمان.

ان الاسلام لايتعارض مع الحقائق المباشرة للتجربة، وانما مع تلك الرؤى الميتافيزيقية التي تشكل اسساً لجملة من استنتاجات العلم، ويقول بيتر مور (Peter Moore): (تمتاز الثقافة الجديدة بوجود دائرة ضيقة للبحث العلمي، وظهور نزعة

---

(1) A. p. French, Einstein, A Centnary Volume (London: Heinmann, 1979), p 67.

(2) E. Witten, in Superstrings: A Theory of Everthing? P.C W. Davies and J. Brown (eds.), (Cambridge: CUP, 1988), p. 98.

المغالاة في العلم، التي تتولى وصف وتفسير المعطيات العلمية وفقاً للاتجاه المادي الذي أخضعت له، لا أنها استنتجت ذلك من المعطيات تلك)[1].

٦ـ البرامج التعليمية والبحثية في الجامعات الاسلامية[2]

ينبغي ان تتولى الجامعات الاسلامية توفير الظروف التعليمية واجواء البحث العلمي المناسبة وفقاً للمستويات الحالية التي تقدمها الجامعات الاخرى، ويضاف الى ذلك ان عليها ان تتولى في الجانب العملي تهذيب الطلاب، وان تجهزهم في الجانب النظري بالتصور الاسلامي ويلزم لهذا:

اولاً: تخصيص حصص دراسية في اصول العقيدة ومبادئ الاسلام، تمنح اولوية على المقررات الاخرى لكي تتشكل بواسطتها الاسس الفكرية للدارسين فيتمكنوا من تحليل وتفسير القضايا العلمية في اطار اسلامي.

ثانياً: تخصيص حصص دراسية للمواد التي تساهم بتعريف الطالب على حدود العلم وحجم امكانياته، نظير فلسفة العلم وعلم اجتماع المعرفة، في اطار نظرية المعرفة الاسلامية.

ثالثاً: تفرد في كل فرع حصص خاصة لفرز الموضوعات والقضايا التي يعنى بها، وتتقاطع مع الاسلام بشكل جذري.

رابعاً: ينبغي للعلم الاسلامي ان يبلور ويكتشف الاطار الموحد للاشياء فلا يصح ان ينشغل بالتحليل عن التركيب (أي ان يتجه الى الواقع بمنهج شمولي)

---

(1) Peter Moore, (Science and Technology in Traditional Islam and in the Modern World, in Studies in Comparative Religion, Winter 1977, p 44.

(٢) ترجمت هذه الفقرة بعد تلخيصها دونما إخلال، ودعانا الى ذلك انها تضمنت جوانب مما تكرر (المترجم).

مع المحافظة على تقسيمات الفروع العلمية طبعاً، ومن نماذج ذلك ما راحت تهتم به الفيزياء المعاصرة خلال العقود الاخيرة من قضية الوحدة بين قوى الطبيعة، الا ان وحدة الظواهر الطبيعية تحكي في الاسلام عن حقيقة وحدة الخالق. وقد اذعن لميزة ترابط العلوم في الفكر الاسلامي، حتى غير المسلمين. ويقول روجيه دو باسكيه في هذا المجال: (على العكس من العلماء الجدد في الغرب الذين يغلب على بحوثهم الطابع التحليلي والاهتمام بالجانب الكمي وملاحقة الموضوعات الثانوية، كان العلماء المسلمون يحاولون تكوين نموذج معرفي يمتاز بطابع تركيبي افضل ويطمح الى تقديم رؤية اكثر شمولية للكون، وقد ساهم ذلك في اقتران علومهم بلون من الحكمة حالت دون ظهور ما نراه في عصرنا من اتخاذ العلم وسيلة لتحديد الموضوعات القيمية، ومنحه قدرة خارقة ذات طابع الهي ، الأمر الذي يؤدي الى خروج العلم عن نطاق السيطرة وتحوله الى خطر يشهر سيفه بوجه الانسان)[1].

ادرك عدد من كبار العلماء، خلال الاعوام الماضية ان ظاهرة الاختصاصات في العلوم ادت بأكثر مما ينبغي الى تضييق افق البحث العلمي حيث اختزلت عالمه في المجال المحدود للاختصاص. ويشتكي هايزنبرغ وهو من ابرز علماء الفيزياء المعاصرين، من انشعاب العلوم وتبعثرها إلى تلك الأجزاء، مما أدى الى حرمان العلماء من امتلاك رؤية للكون تتمتع باطار موحد، ويقول: (ان الشغف بالموضوعات الجزئية واكتشاف ادق اسرار الطبيعة في مجال ضيق يعد اليوم مدعاة للفخر والاعتزاز بين العلماء، وهذا ما يقترن طبعاً باظهار احترام شديد ازاء

---

(١) دو باسكيه، روجيه. اسلام وبحران معاصر (الاسلام والازمة الراهنة) ترجمة وتحرير: حسن حبيبي. طهران، انتشارات اطلاعات، ١٩٨٤ ص ٨٤.

من يمتلك خبرة في موضوع خاص، بدلاً عن ادراك قيمة مستويات الترابط الموجود في اطار اوسع، ومن الصعب في هذا العصر ان يتم التطرق الى رؤية علمية موحدة حول الطبيعة... ان دنيا العلماء اليوم لا تشكل سوى جزء محدود من الطبيعة يجعلون اعمارهم وقفاً عليه)[1].

غير أن هايزنبرغ يعرب عن أمله بأن نصبح مثل كبلر فندرك هيكل الترابط بين اجزاء العالم: (اننا نفتقد ما كان يتمتع به كبلر الذي رأى في العلاقات والترابطات القائمة بين أجزاء العالم، ظاهرة كلية تتجلى فيها ارادة خالقها، والذي كان يعتقد ان استيعابه لطبيعة الترابطات القائمة بين الافلاك، يؤهله لإدراك الكون. غير أنه لا زال ثمة أمل في أن يتوفر كل مترابط يمكننا التوغل فيه أكثر فاكثر، وهو ما يشكل لنا حافزا على مواصلة البحث العلمي).[2]

يقول البابا يوحنا بولس الثاني في محاضرة بأكاديمية العلوم البابوية بتاريخ ٤ اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٩١م: (ان انشعاب العلوم الى فروع تخصصية متعددة، الذي نشأ عن ظاهرة الاختصاص العلمي او تقسيم التوظيفات التقنية للعلم، غالباً ما يحول دون ملاحظة الانسان في سياق وحدته الوجودية، ويمنع ادراكنا للترابط المعقد القائم بين قواه، وفي الواقع فان ثمة خطراً حقيقياً في أن يتكامل كل من العلم والثقافة بنحو منفصل من الآخر، بالمستوى الذي لا يعير أحدهما اهتماماً للآخر)[3].

ونلاحظ أحدى نتائج هذا التحول، فيما شهده العقدان او العقود الثلاثة

---

(1) W. Heisenberg, Philosophical Problems of Quantum Physics (Woodbridge, Connecticut: OX Bow Press, 1979), p. 80.

(2) Ibid., p. 94.

(3) L. Observatore Romano, edition in English, 14 October 1991, p. 3.

الماضية من تزايد الدراسات (بين الفرعية)، اي التي تتحرك في دائرة اختصاصين أو أكثر، وهو ما انطوى على مكاسب جمة. ونلاحظ ذلك مثلا بين فروع العلوم الأساسية وكل من الهندسة والطب، أو بين الفروع الهندسية والطب، والأهم من ذلك كله ما تم بين فروع العلوم الأساسية والهندسة من جهة، واقسام العلوم الإنسانية من جهة أخرى. وتنظم جامعة أوكسفورد منذ عدة أعوام ندوات أو دروساً مشتركة بين أقسام الفيزياء والفلسفة، كما شكلت جامعة ستانفورد بأمريكا مجموعة بحثية في قسم الهندسة تعنى بالإنسانيات وهي تنظم دروساً في هذا المجال، كذلك فإن الكلية الملكية (Kings College) في بريطانيا افتتحت بقسم الفيزياء دروساً نظير: الفيزياء وفلسفة العلم والفيزياء والالهيات. وستكشف هذه الجهود بنحو متزايد الاطار الموحد للعلوم، وترفد البحث العلمي بمضامين ثقافية غنية.

ينبغي على العالم الإسلامي الذي كان رائد هذا الاتجاه ان يسعى لإحيائه ثانية، وان تسعى مؤسساته العلمية إلى تخليص الاختصاصات العلمية من بعدها الأحادي الذي يرتهنها حالياً ويؤدي الى منح الأهمية للمجالات التخصصية المحدودة، فيحاصر العلم في دوائرها ولا يترك مجالاً للفكر في اطاره الشمولي.

طائفة من الأعمال التي عالجت موضوع الاسلمة

تاريخه	مكان الصدور	المؤلف	عنوان الكتاب
١٩٧٩	السعودية - بريطانيا	مجموعة من الباحثين	Aims and Objectives of Islamic Education
١٩٨٢	باكستان	مجموعة من الباحثين	Knowledge for Whar? Procee-dings and Papers of the Seminar on Islamization of Knowledge
١٩٨٢	امريكا	I. R. al-Farupi	Islamization of Knowledge General Principles and Woekplan
١٩٨٥	بريطانيا	H. H. Bilgeami & S.A. Ahmed	The Cincept of an Islamic University
١٩٨٦	امريكا	A. S. Ahmed	Toward Islamic Anthropology: Definitinos, Dogma, and Directions
١٩٨٩	امريكا	مجموعة من الباحثين	Toward Islamization of Disciplines
١٩٨٩	امريكا	مجموعة من الباحثين	Islamization of Attitudes and Practices in Science and Technology
١٩٩٣	بريطانيا	S. H. Macr	The Need fot a Sacred Science
١٩٩٦	السويد	L. Stenberg	The Islamization of Science

المراجع

(1) R.stannard, Science and Wonders (London : Faber and Faber, 1996), pp,24-25.

(2) Ibid., p.30.

(3) Robert Jastrow, in the intellectuals speak out Abut God, a. Varghese, ed (Chicago: Regenery Gateway. Inc., 1984), p.22.

(4) Ibid.

(5) J. barrow, The world within the world (Oxford: clarendon press. 1988), p.226.

(6) F. Hoyie, astronomy and cosmology (san Francisco: W.H freeman and co., 1975), pp. 684-685.

(7) S. Hawking. A bref history of time (new yord : bantam books, 1988), pp. 140-141.

(8) M.A corey, god and the new cosmology, the anthropic deding argument (maryiand: rewman & littefield pub. Inc, /1993) p. 34-35.

(9) W.L craig and Q.smith, theism, atheism and big bang cosmology (Oxford: clarendon press, 1993) p. 18.

(10) R. stannard, po.cit., p. 54.

(11) Rrchard dawkins, the blind watchmaker (now york, w.w.norton & Co., 1998), p.382.

(12) Matt cartmill, discover. March 1998, p. 83.

(13) Rupert Sheldrake, in intellechuals speak out about god. Ed. By a. barghese (Chicago: regnery qateway, inc., 1984), pp. 56-57.

(14) Religious shudies, 33. 1997, p. 23.

(15) John gribbin., God and the old physics. Now scientist, 28july, 1983, p. 278.

(16) Ibid., p. 279.

(17) T.D singh and ravi gonatam, eds., sunthesis of science and religion (Bombay : the bahktivedanta institute, 1987), p. 142.

(18) The chrstian science monitor. July 9, p. B4.

(19) John cornwell, ed., nature's imagination, (Oxford: OUP 1995), p. 132.

(20) Ibid., p. 31.

(21) Richard Dawkins, the blind watchinaker (new york: w.w.Norton, 1987), p. 5.

(22) P. forman, (weiman culture, causality and quntum theory, 1918-1927 : adaptation by german physicists and mathematicians to a hostile intellectual cenvironement) in historical studies in the phusical sciences, sdited by R.Mc cormmach, (Philadelphia· university of Pennsylvania, 1971), vol. 3 pp. 1-115.

(23) J.t. cushing, quantum mechanics (Chicago : the university of chiacgo press, 1994), pp. 97-100.

(٢٤) كرلو الفونسو نلّينو، تاريخ نجوم اسلامي (تهران : جابخانه بهمن. ١٣٤٩)، صص ٢٩٠ ـ ٢٩١.

(25) Bobert boyle. The advancement of learinig (Oxford: charendon press, 1974), p.

(26) Atur – ur – rahman, (scientific education in muslim countries – Iprinciples and guidelines) in social and natural sciences (Jaddah: King abdulaziz university, 1981), p. 174.

(٢٧) صحيفة نور، ج ٩ (تهران : انتشارات شركت سهامي جابخانه وزارت ارشاد اسلامي، ١٣٦١)، صص ١٨٦ — ١٨٧.

المحتويات

الفصل الأول

من العلم الديني الى العلم العلماني

الفصل الثاني

العلم والدين في العالم المعاصر

الفصل الثالث

الاسلام وعلوم الطبيعة

الفصل الرابع

عوامل الإبداع و التقدم العلمي في الحضارة الاسلامية

الفصل الخامس

مشروع الوحدة بين الحوزة العلمية والجامعة

الفصل السادس

الجامعات الاسلامية: من العلمانية الى الدين

د. مهدي گلشني

- ❑ استاذ جامعة شريف التكنولوجية (طهران)
- ❑ دكتوراه في الفيزياء من جامعة بركلي-كاليفورنيا
- ❑ رئيس مركز بحوث العلوم الانسانية والدراسات الثقافية
- ❑ رئيس قسم العلوم البحته في اكاديمية العلوم في ايران
- ❑ حصل على عدة جوائز علمية.

من آثاره:

١- القرآن ومعرفة الطبيعة

٢- can science dispense with religion?

٣- من العلم العلماني الى العلم الديني(هذا الكتاب).

كتاب قضايا اسلامية معاصرة

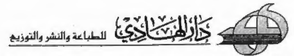
سلسلة دورية تصدرها مجلة قضايا اسلامية معاصرة

رئيس التحرير: عبد الجبار الرفاعي

العنوان	المؤلف
❑ الاجتهاد والتجديد	ابراهيم العبادي
❑ علم الكلام الجديد	محمد مجتهد شبستري
❑ المدرسة التفكيكية	محمد رضا حكيمي
❑ اشكالية الاسلام والحداثة	عادل عبدالمهدي
❑ اسلامية المعرفة	اسماعيل الفاروقي
❑ اصلاح الفكر الاسلامي	طه جابر العلواني
❑ جداليات الفكر الاسلامي	ابراهيم العبادي
❑ فقه التحيز	عبد الوهاب المسيري
❑ اسلمة الذات	كامل الهاشمي
❑ نظرية العلم في القرآن	غالب حسن
❑ القسط والعدل	لمحمد رضا حكيمي واخويه
❑ مقدمة في اسلامية المعرفة	طه جابر العلواني
❑ تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية	عبد الجبار الرفاعي
❑ قضايا التجديد	حسن الترابي
❑ نزعة التغريب	جلال آل احمد
❑ الدستور والبرلمان	جعفرعبد الرزاق
❑ الفكر الاسلامي: تطوراته و مساراته	زكي الميلاد
❑ علم الاستغراب	حسن حنفي
❑ الاجتهاد التحقيقي	محمد رضا حكيمي
❑ المستنيرون: خدمات وخيانات	جلال آل أحمد
❑ أصالة النبوة في حياة الرسول الكريم	غالب حسن
❑ اشكاليات التجديد	ماجد الغرباوي
❑ مقاصد الشريعة	طه جابر العلواني
❑ الثقافة الاسلامية بين التغريب والتأصيل	شلتاغ عبود
❑ الواقع والمثال في الفكر الاسلامي المعاصر	جمال الدين عطية
❑ محاولات للتفقه في الدين	حسن الخليفة
❑ الصراع الاجتماعي في القرآن الكريم	غالب حسن
❑ المنهج الفقهي عند الشهيد الصدر	محمد الحسيني
❑ المنهج البنائي في التفسير	محمود البستاني
❑ الإمام محمد باقر الصدر: معايشة من قريب	محمد الحيدري
❑ من العلم العلماني الى العلم الديني	مهدي كلشني

الطبعة الأولى

1424هـ - 2003م



هاتف: ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩ - فاكس: ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٥/٢٨٦ غبيري - بيروت - لبنان
Tel.:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199- P. O. Box: 286/25 Ghobeiry - Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com - URL: http: //www. daralhadi.com



هاتف : ٠١/٥٥٠٤٨٧ - ٠٣/٨٩٦٣٢٩
فاكس : ٥٤١١٩٩ - ص.ب: ٢٨٦/٢٥ الغبيري - بيروت - لبنان
Tel:03/896329 - 01/550487 - Fax: 541199
P.O.Box: 286/25 Ghobeiry -Beirut - Lebanon
E-Mail: daralhadi@daralhadi.com-URL: http: //www. daralhadi.com